المشرق

ايليَّا النصيبيني وكتاب دفع الهمّ

عجالة للاب لويس شيخو اليسوعي

لقدماء النصارى في الشرق آثار عديدة في العلوم والآداب العربيَّة اخذت قسمًا كبيرًا منها يدُ الضياع. امَّا الباقي فلا يزال معظمهُ مطمورًا في زوايا النسيان ينتظر همَّة اهل البحث ومحبي العاديَّات ليبرزوهُ الى عالم النور ويبعثوهُ من سُباتهِ

ومن جملة هذه التآليف الحسنة المنسيَّة كتاب نفيس يُدعى « دفع الهمّ » لايليَّا النسطوري مطران نصيبين عني بطبعهِ ومقابلتهِ وتنقيحهِ الخوري الفاضل الاب قسطنطين الباشا احد رهبان دير المخلص الباسيليّين المحترمين نشرهُ منذ عهد قريب في مطبعة المعارف في القاهرة واتحفنا بنسخة منهُ

ولمَّا كان لصاحب هذا التأليف شأن عظيم في تاريخ اهل نحلتهِ وكان للكتاب المنسوب اليهِ من المزايا ما يجعلهُ « للعالِم مجلَّة حكمة وللمتعلم الصغير كتابَ قراءة وتهذيب وللمتأدب الكبير كتاب بلاغة وانشاء ولرجل الدين سفر مواعظ وآداب » احببنا ان نفرد لكليهما بحثًا موجزًا ليقف قارئ المشرق على حقيقة الامرين فنقول:

١

نصيبين مدينةٌ قديمة في جنوبي ماردين كانت تعدّ في عهد الرومان من أُمهات المدن وحواضرها وكان السريان يدعونها صوبا ثم دخلت في حوزة الاسلام وبقيت عامرة دهرًا تُعتبر كقصبة بلاد ربيعة وهي اليوم ضيعة خاملة الذكر. ففي هذه البلدة ولد

سنة ٩٧٥ للمسيح احد مشاهير الملّة النسطوريّة اسمهُ ايليَّا برشينايا (حنّ مُنْنًا وضبطهُ البعض مُنْنًا) ويدعوهُ العرب ابن شينا امَّا حضرة الخوري ق. الباشا فقد عرَّب اسمهُ بابن السني ولا نعرف على ايّ سند دعم تعريبهُ هذا ولعلهُ ظنَّ انَّ مُنْنًا مرادفة مُنْنًا نسبة الى مُنْا بمعنى السنّ مدينة على دجلة فوق تكريت. وكذلك قد وهم حضرتهُ ووهم معهُ الشيخ ابرهيم اليازجيّ في الضياء (ص ٤٠٤) اذ دعواهُ بابي الحلم وزعما انهُ صاحب الخطب المشهورة. والصواب انَّ ابا الحلم بطرك نسطوريّ عاش بعد اليا النصيبيني بنحو ١٥٠ سنة (راجع كتابنا مجاني الادب الجزء الرابع ص٢٩٧)

وزهد اليَّا منذ حداثتهِ في الدنيا وترهَّب في دير القديس ميخائيل بجوار الموصل وتخرَّج في آداب العيشة الرهبانيَّة على الارشيمندريت يوحنَّا المعروف بالاعرج ثم تجرَّد للعلوم الدينيَّة والدنيويَّة فبلغ خبرهُ نثنائيل اسقف مدينة السنّ الذي صار بعد ذلك بطركًا على النساطرة باسم يوحنَّا الخامس (١٠٠١—١٠١٢م) فوجدهُ اهلًا للكهنوت فسامهُ كاهنًا. ثمَّ انتقل اليَّا المذكور الى دير سمعان المبني على ضفَّة دجلة بازاء مدينة السن. وفي السنة ١٠٠٢ سُقِّف على بيت نوهذرة فدبَّر هذه الكنيسة الى غاية سنة ١٠٠٨ وفيها جعلهُ البطرك يوحنَّا الخامس مطرانًا على نصيبين فرعاها بنشاط وجدّ نيِّفًا واربعين سنةً. وكان البطرك يوحنا السادس بر ترول (١٠١٢—١٠٢٠) خلفُ يوحنَّا الخامس يجلُّ اليَّا النصيبيني ويركن اليهِ في مهمَّاتهِ. وخلفهُ ايشوعياب بر حزقيال (١٠٢٠—١٠٢٥) فجرى بينهُ وبين مطران نصيبين خلاف وشحناء لم تنطفئ جذوتها الى عهد البطرك اليَّا الاول (١٠٢٨—١٠٤٩) وكان هذا سابقًا اسقفًا على ترهان وُيعدّ من ائمَّة زمانهِ لهُ عدَّة تصانيف تشهد لهُ بالعلم الواسع. وكان بينهُ وبين اليَّا بن شينا وداد ومراسلات. وعاش اليَّا مطران نصيبين مدة بعد سميّهِ كما يظهر من بعض رسائلهِ. وقد ذكر حضرة الخوري قسطنطين الباشا (ص ٤ في الحاشية) انهُ توفي في ميَّافارقين سنة ١٠٤٩. امَّا حضرة القس جبرائيل القرداحي فانهُ روى في كتابهِ تراجم شعراء السريان المعروف بالكنز الثمين انَّ وفاة ابن شينا هذا كانت في بعض شهور سنة ١٠٥٦. ولا نعلم على اي دليل استند كلامهُ لاننا لم نجد تاريخ وفاة اليَّا النصيبيني في ما لدينا من التآليف العديدة التي ورد فيها ذكرهُ

٢

وان تقصّينا الآن ما لايليّـا النصيبيني من التآليف وجدنا انهُ جارى في الكتابة اهل جلدتهِ فصنّف في السريانيّة والعربيّة عددًا وافرًا من التصانيف كلّهـا ناطقة بفضلهِ نشر منها العلماء قسمًا صغيرًا فقط. واوّل هذه المصنّفات الجليلة تاريخ نفيس ضمّنهُ ما جرى في الشرق من الحوادث منـذ سنة ٢٥ ميلاديّة الى سنة ١٠١٨. وهو مكتوب بالسريانيّة وقد عرّبهُ المؤلف بنفسهِ وفيه من الفوائد عن النصرانيّة في بلاد العراق وما بين النهرين ما يندر وجودهُ في سواهُ. الّا ان صروف الدهر قد ذهبت بقسم صالح من هذا الكتاب فلم يبقَ منهُ سوى ثلثهِ وقد تولى نشرهُ العلامتان بيثغن (Bæthgen) في ليبسيك سنة ١٨٨٤ ولامي (Lamy) في بروكسل سنة ١٨٨٨ نقلاهُ عن نسخة يرتقي عهدها الى زمن المؤلف مصونة في المتحف البريطاني وهي مكتوبة على عمودَين سرياني فعربي مع جداول عديدة فيها اسماء الاحبار الرومانيّين وبطاركة الاسكندريّة وانطاكية وجثالقة النساطرة وملوك الدول الشرقيّة

ومن تآليفهِ كتاب القوانين البيعيّة في اربعة اقسام اودعهُ مجموع الفتاوى والترتيبات الكنسيّة التي قرّرها الآباء في المجامع السابقة وقـد تعقّب آثار البطرك ايليّا الاول معاصرهِ الذي وضع مجموعًا واسمًا لهذه القوانين. وكلا التأليفين بالسريانيّة

ولهُ ايضًا مختصر سرياني في تقسيم الوراثة لخّصهُ عن تأليف لايليّا الاول في الموضوع نفسهِ. (راجع المكتبة الشرقيّة للسمعاني الجزء الثالث ص ٢٦٧—٢٦٩)

وممّا الّفهُ فاجاد فيهِ الترجمان في تعليم لغة السريان وهو مع صغر حجمهِ جامع لاصول اللغة الآراميّة وكان النساطرة قد اتخذوهُ كدستور بنوا عليهِ تعليم احداثهم. ومنهُ نسخ عديدة حتى اليوم في خزائن الكتب الشرقيّة في اوربّة. وقد اطلعنا السيد المفضال المطران ايليّا ميلوس في ماردين على نسخة غاية في الضبط والاتقان منهُ. وهذا التأليف نشرهُ المستشرق الشهير دي لاكرد سنة ١٨٧٩ في مجموع لهُ دعاهُ «Prætermissorum libri duo»

ومنها ايضًا معجم في المفردات السريانيّة مع ترجمتها الى العربية عُني بطبعـهِ في رومية العظمى سنة ١٦٣٦ الاب الفرنسيسي توما دي نوڤاريه واضاف اليهِ شرحًا باللاتينية فسماهُ «Thesaurus arabico-syro-latinus»

ولايليا النصيبيني قصائـد وميامر بالشعر ادخل النساطرة قسمًا منها في فرائضهم الدينية. وفي كتاب الكنز الثمين للاب جبرائيل قرداحي مثالٌ يدلُّ على جود قريحة مؤلفهِ هذا اوَّلهُ:

ܚܝܠܐ ܬܘܕܝܬܐ ܠܟܘܢ   ܫܬܠ ܘܡܬܕ ܠܡܫܝܚܐ

ومن تآليفهِ الحسنة رسالة في العفــة وجَّهها الى اخيهِ الشيخ ابي سعد منصور بن عيسى وصف فيها فضيلة العفاف وما ينجم عنها من الفوائد العظمى مع بيان ما يعــين على دفع الشهوة وقــد اثبت قولهُ ببراهين عقلية ونقلية . قال ابو البركات في كتاب مصباح الظلمة: «ورصَّعها باخبار نادرة ومآثر عن الحكماء والرهبان صادرة وابلغ في تأليفها واحسن في تصنيفها ». وفي المكتبة الواتيكانية وغيرها نسخٌ عديدة من هذا التأليف. وقد اهدانا حضرة الخوري بطرس عزيز النائب البطريركي على الكلدان في حلب نسخةً جيّدة منهُ

ومن تآليفهِ الدينية كتاب البرهان على صحيح (ويروى في تصحيح) الايمــان. وهذا الكتاب مصون ايضًا في المكتبة الواتيكانية وقد سقط عنهُ اسم مؤلفهِ فوصفهُ السمعاني في المكتبة الشرقية (ج ٣ ص ٣٠٣ — ٣٠٦) دون ان يتحقق صاحبهُ. وقد اسعد الحظ احد علماء الالمان اسمهُ هورست (L. Horst) على وجود نسخة منهُ صحيحة نقلها الى الالمانية وطبعها في كولمار سنة ١٨٨٦. وفي هذا الكتاب فصول يدافع فيها ايليًا عن شيعتهِ النسطوريَّة

ومنها رسالة في التثليث والتوحيــد ذكرها ابو البركات القبطي في كتابهِ مصباح الظلمة ولم نقف لها على أثر. ولعلها مفقودة

ويلحق بتصانيفهِ الدينية كتاب آخر منهُ في مكتبتنا الشرقية نسخة حسنة كُتب في صدرهِ « رسالة انشأها الاب انبا ايليًا مطران نصيبين واعمالها للاستاذ ابي العــلاء المؤتمن صاعد بن سهل الكاتب يذكر فيها المجالس التي جرت بينهُ وبين الوزير ابي القاسم الحسين ابن عليّ المغربي لمَّا قدم نصيبــين سنة ٤١٩ هـ (١٠٢٩ م) وعددها سبعــة مجالس » وهي فصول على طريقة السؤال والجواب في المذهب النصراني وعقــائدهِ واسرارهِ

ومنها ايضاً « تفسير الامانة الكبيرة التي اجتمع على عقدها الثلثمائة والثمانية عشر ابًا ممن اختارهم قسطنطين قيصر الروم ». وصفهُ السمعاني عن نسخة الواتيكان في مكتبتهِ الشرقية (ج ٣ ص ٥٠٨) . وهذا التفسير كتبهُ ايليًا بالعربية

ولهُ ايضًا رسائل اخرى في السريانية لا حاجة الى ذكرها

٣

هذا وقد بقي علينا الآن ان نذكر الكتاب الذي نحن بصددهِ وهو كتاب « دفع الهم » او بالحري « المعونة على دفع الهمّ » الذي خرج من زوايا النسيان بهمّة حضرة الخوري ق. الباشا. واوّل ما يترتب علينا البحث عنهُ هل صاحب هذا الكتاب هو حقيقةً اليًا النسطوري او غيرهُ. وقد حملنا على الريب في ذلك اسباب منها

(اولًا) اننا لم نجد اسم هذا الكتاب في جملة تآليف اليًا النصيبيني وفي قائمة كتبهِ التي سردها احد خلفائهِ على كرسي نصيبين وهو عبد يشوع الصوباوي (راجع المكتبة الشرقية للسمعاني (ج ٣ ص ٢٦٦) . (ثانيًا) انَّ نسخًا كثيرة خطّية عربية وكرشونية من هذا الكتاب في باريس ولندن واكسفرد تنسبهُ الى ابي الفرج المعروف بابن العبري المتوفى سنة ١٢٨٠م . (ثالثًا) انّنا نجد في قائمة كتب ابن العبري التي ألّفها اخوهُ برصوما بعد وفاتهِ كتابًا دعاهُ « دفع الهمّ ». (رابعًا) ان في مقدمة هـذا الكتاب ما يدلّ على انهُ فقط الجزء الاول مـن كتاب واسع يقسم الى ثلاثة اجزاء. قال (ص ٨) : « واجعل الكتاب ثلاثة اجزاء. الجزء الاول منها اضمّنهُ وصف الفضائل المتقدم ذكرها والمواعظ والخطب والاقاويل المفيدة فيما يعين على اقتنائها (وهو مجمل الكتاب المطبوع). والثاني اضمّنهُ من الاخبار والقصص ما يعين المقتدي بها على اكتساب هذه الفضائل. والثالث اضمّنهُ من حيـل اهل الفضل والعلم والذكاء ما يساعد على اكتسابها . . . » وهذان الجزءان لا اثر لهما في النسخ المنسوبة الى ايليا ابن شينا ولهما بخلاف ذلك اثر في تصانيف ابن العبري السريانية فان لهُ مجموعًا في الفكاهات والقصص قال صاحب قائمة كتبهِ انهُ هو المعروف عنـد العرب بدفع الهمّ . (خامسًا) اننا لم نعرف نسخةً قديمة من هذا الكتاب سبقت عهد ابن العبري . امّا قول حضرة القس ق. الباشا ان النسخة الواتيكانية المحفوظة تحت عدد ١٨٠ ترتقي الى نحو القرن الثاني عشر فلو صحّ لأزال

كلَّ شبهة لكننا رأينا هذه النسخة في رومية قبل ثماني سنوات فلم نجد لها هذا القِدَم البليغ . بل يوجد في مكتبة الواتيكان نسخة أُخرى اقدم من هذه النسخة لم يذكرها حضرتهُ ولعلَّهُ لم يعرفها لانها في مجموع عددهُ في المكتبة المذكورة ١٥٨ يحتوي عدَّة تآليف . فالكتاب الرابع في هذا المجموع هو « دفع الهمّ » كُتب سنة ١٣٥٧ ويُنسب هناك الى ايليًا مطران نصيبين

هذه بعض ادلَّة تصدُّنا بان نحكم حكماً فصلًا في صاحب هذا التأليف . كما ارتاب ايضاً في امرهِ بعض المستشرقين قبلنا فنسبوهُ طورًا الى ابن العبري وطورًا الى ايليا اسقف نصيبين المعروف بابن شينا . بل نسبهُ بعضهم الى ايليا آخر غير ابن شينا (راجع مخطوطات لندن العربيَّة ص ٥١ و ٣٦٤) . ولعلَّ احدًا من قرائنا يمكنهُ ان يزيدنا ايضاحًا في هذا الامر فنخلص لهُ شكرنا سلفًا

اما الطبعة الجديدة فهي حسنة الضبط نضرة الحرف . وقد قابلناها مع نسختين خطّيتين في مكتبتنا الشرقيَّة تُنسبان الى ابن العبري فلم نجد بين الثلاث النسخ فرقًا يُذكر سوى بعض اختلاف في الروايات وبعض اغلاط طفيفة وقعت في النسخة المطبوعة . ودونك قطعة من هذا الكتاب المفيد نقلناها عن اقدم نُسختنا المخطوطتين (١ ونَدلُّ على روايات نسختنا الثانية بحرف (١) . وهذه القطعة في آخر الباب الثامن الذي عنوانهُ « في منفعة المشورة ومضرَّة الاستبداد بالرأي » وردت في النسخة المطبوعة في الصفحتين ٦٦ و ٦٧ ندلُّ على رواياتها بحرف (ب) :

قيل : العاقل لا يحاول شيئاً من (١ ب : في) امورهِ الّا في مواطأة (١ ب : بمواطأة من) ذوي الرأي ولا يشرع فيها الّا بمشورتهم (١ ب : بمشاورتهم) ويحتوي عليها (ب : ولا يقدم عليها الّا) بمعرفتهم . وقيل على المستشار الاجتهاد ليبذل (ب : في ان يبذل) نفسهُ في الصدق والنصيحة . وقيل من كتم الطبيب مرضهُ طال داؤهُ (١ : من كتم عن الطبيب داءهُ طال مرضهُ . ب : من كتم الطبيب دواءهُ « وهو غلط » طال مرضهُ) . ومن استبدَّ برأيهِ فقد تعرَّض للخطإِ بجهدهِ . وقيل لا ظهير اوثق

(١ وكنَّا سابقًا اثبتنا فصلًا من كتاب دفع الهم في مجموعنا الذي ألفناهُ للكليَّات الاوربية Elementa gramm. arabicæ cum Chrestomathia, Lexico variisque notis p. 253

من المشاورة (ب : المشورة) . واما إذا (ب : وقيل اذا) كنت تستشير (ا ب : مستشيرًا) فليك بذي (ا ب : بذوي) الرأي والنصيحة فانهُ لا يكتفي برأيه من لا ينصح (ب : من يعقل) ولا نصيحة لمن لا عقل لهُ (ب : لمن لا يعقل) . وقيل المشورة في الامر (ب : في الامور) قبل وقوعهِ (ب : وقوعها) من اسباب الظفر . وقيل من استُشير فاشار بغير رأيهِ سلبهُ الله تعالى رأيهُ . وقيل من اعجل الاشياء عقوبةً رجل استُشير بهِ فكان من رأي المستشير الطمانية ومن رأي المستشار التغرير بهِ (وهكذا ا ب) . وقيل لا تستشير جائعًا ولا سكران ولا خائفًا (ب : ولا خائنًا . ا : ولا حاقدًا) ولا كثير الهمّ بغير امرك . فكل من (ا : فان من) رفض هذه الاحوال عادت عنهُ (ناقص في ب) . وقيل من استشار بك (ا : استشارك) في امر فقد اشركك (ا : شاركك) فيهِ . وقيل من استبدَّ برأيهِ هالك (ب : ضلَّ) ومن شاور الرجال شاركها في عقولها . وقيل استشار عبد الله بن سليمان قومًا فاشاروا عليهِ بشيء فتغيَّر وجههُ وقال هذا يعود ضررهُ عليَّ (ا : على الدنيا . ب : على الناس) بعد ثلاثين سنة فيقال اذ ذاك : عبد الله بن سليمان سبَّبهُ (ب : كان سببهُ) واللهِ لا فعلتُهُ . وقيل لا رويَّة لعَجول (ب : لعجوز « وهذا تصحيف ») ولا راحة لحسود ولا مودة لحقود ولا مروّة لكذوب ولا رأي لمن لا يشاور في اموره ولا تدبير لمن يفشي سرَّهُ . ولا نجاح (ب : ولا جناح « وهذا غلط ») مع سقوط الهمَّة ولا صلاح مع سوء النية . وقيل الطبيب الحاذق اذا مرض يحتاج الى طبيب يعالجهُ والعاقل اذا وقع في امر يحتاج الى حازم يستشيره . وقيل انفع الاشياء للعاقل مشاورة العلماء والتجربة بالمودَّة (ب : واهل التجربة والمودَّة) واضرّ ما عليهِ (ب : واضرّها لهُ) الكسل واتباع (ا ب : مع اتباع) الهوى . وقال عبد الملك بن مروان : أن (ب : لأن) اخطأت وقد استشرت احبّ اليَّ من ان أُصيب وقد استبددتُ برأيي

وهنا انتهى الفصل في النسخة المطبوعة امَّا نسختا مكتبتنا ففيهما ما يلي :

وحضر عبيد الله (ا : عبد الله) الحارثي فشاورهُ في اخيهِ ان يوليهُ القضاء فاشار عليهِ بهِ (ا : بذلك) . ثمَّ اجتمع عبيد الله (ا : عبد الله) بابي بكر فقال لهُ ابو بكر : اترى لي الى القضاء سبيل . فقال : لا . فعرف زياد ذلك فقال لعُبيد الله (ا : لعبد الله) : يا هذا اشرتَ عليَّ (ا : انكرتَ عليَّ) ان اولي ابا بكر القضاء واشرتَ عليهِ ان لا يلي . فقال : ما ناقضتُ نفسي ايها الامير ولكن استشرتَ بي (ا : استشرت بك) فنصحتُك واستشار بي فنصحتهُ

فمن هذه المقابلة ترى كم تختلف الروايات وكم يصعب الوقوف على الصحيح منها إلَّا يراجع الذي يتولى نشر كتاب نسخًا عديدة ليقابل بينها كما يفعل كبار العلماء في اوربةً. والسلام

الفصح

تاريخهُ وبيان حسابهِ

للاب موريس كولنجت اليسوعي

بقي علينا ان نورد الفصل الذي ألمنا اليه في صدر مقالتنا السابقة نقلًا عن البيروني وهذا نصهُ :

قد تقدم لنا من ذكر لوازم فصح اليهود وشرائطهِ وكيفيَّة استخراجهِ وعلل ذلك ما يزيد على الكفاية ويبلغ اقصى الغاية وصومُ النصارى من توابعهِ والمتصل اسبابهُ باسبابهِ ونحن ذاكرون من احوالهِ ما يُشبه الغرض المقصود في اعمالهِ بعون الله وحسن افضالهِ فنقول : انَّ صوم النصارى ثمانية واربعون يومًا (١ اولها ابدًا يوم الاثنين وفطرهم يوم الاحد التاسع والاربعون من اول صومهم. [والاحد الواقع قبل الفطر (٢ يسمُّونهُ السعانين ومن الشرائط التي اشترطوها وقوع الفصح بين السعانين والفطر الذي هو الاسبوع الاخير من اسابيع الصوم لا يتقدَّم السعانين ولا يتأخر عن اليوم الاخير من الصوم وقد ذكرنا الحدود التي فيها يدور فصح اليهود فيما تقدَّم ولكن النصارى لم توافقهم فيها ولا في اوائل الجياجل(٣ . والجيجل هو الدَّور معرَّب من السريانيَّة لانهُ غيغل ومعناهُ ومعنى المحزور واحد ولكن الأليق ان نذكر عند اهل كل طبقة ما هم عليهِ من المواضعات فهم يسمُّون المحزور الكبير اينديقوطيا غير انهُ يثقل في التكرار عند الذكر فلنسمِّهِ الجيجل الكبير. وانما وقع الاختلاف لانَّ عند اليهود أنَّ اوَّل سنةٍ من تاريخ الاسكندر هي العاشرة من المحزور وليس عند النصارى ذلك كذلك بل هي الثالثة

١) في هذا القول نظرٌ. راجع ما قلنا في مقالتنا عن الحساب الفصحي في العدد السابق (ص ٣٢٨)

٢) قد ذهب من الاصل بعض كلمات تشوِّه المعنى بسقوطها. وهي الالفاظ التي اوردناها بين معكَّفين. والدليل على سقوطها ان محشّي الكتاب قال في ذيلهِ ما تعريبهُ : بين « صومهم » و « يسمونهُ » بياض في الاصل

٣) الجيجل جمعها جياجل لفظة سريانية ܓܝܓܠܐ اصلها من اليونانية « κύκλος » ومعناها الدور. اما « المحزور » فقد وردت في كتب المعجمات بمعنى « الحساب » والبيروني يتخذها بمعنى الجيجل والدور وقد اعتبرها ايضًا كمرادفة للاينديقوطيا (ἰνδικτιών, indiction) وهو الدور الملكي الذي مرَّ شرحهُ في مقالتنا السابقة (المشرق ص ٢٢١) . وقد قسم البيروني الجيجل الى كبير وصغير كما سترى

عشر وذلك انَّهم لمَّا اخذوا ما بين آدم والاسكندر وهو عند بعضهم خمسة آلاف وتسع وستون سنة وعند الآخرين خمسة آلاف ومائة وثمانون(١ عمل على الاخير الجلّ منهم وهو المشهور ايضًا عند المحصّلين. . .

وذلك ان الهجرة كانت في سنة ثلث وثلثين وتسعمائة للاسكندر فاذا أُلقي ذلك ممَّا ذُكر من تاريخ العالم وهو ستة آلاف ومائة وثلث عشرة بقي خمسة آلاف ومائة وثمانون ثم ألقوا تلك السنين جياجل صغرى بقي اثنا عشر وهي السنون الماضية من اول الجيجل الى اول التاريخ. فرتّبوا العبُور(٢ فيها على حساب بهزيجوح(٣ لانهُ الترتيب القائم بذاتهِ المستغني عن نقصان شيء من التواريخ. وجعلوا الفصح في اوَّل سنة من الجيجل في خمسة وعشرين يومًا من آذار لانَّ فصح السنة التي فيها صُلب المسيح(٤ يوجب ذلك وركّبوا عليهِ فصوح سائر السنين. فكان غاية تقدّمهِ اليومَ الحادي والعشرين من آذار وغاية تأخرهِ اليوم الثامن عشر من نيسان يكون ذلك ثمانية وعشرين يومًا. فصار غاية تقدّم الفصح متأخرًا عن الاعتدال الربيعي الذي شهد لهُ العيان بمقدار يومَين استظهارًا واحتراسًا عمَّا في القانون السابع من قوانين السّليحيين(٥ وهو: «أيَّما اسقف او قس او شماس عمل عيد الفصح قبل استواء الليل والنهار مع اليهود فليُقطع عن درجتهِ». ولو كان فطر النصارى هو الفصح بعينهِ او يبعد عنهُ بُعدًا مفروضًا غير متغيّر لتردّد معهُ او موازيًا لهُ في مثلها من الايام. ولكنهُ لمَّا كان غير متقدّم للفصح صار غاية تقدّمه متأخرًا عن غاية تقدّم الفصح بيوم واحد وهو اليوم الثاني والعشرون من آذار وامَّا غاية تأخرهِ فتأخر عن غاية تأخر الفصح باسبوع لانهُ اذا اتفق يوم واحد كان الفطر في الاحد الذي يتلوهُ فيتأخر عنهُ اسبوعًا فاذا كان الفصح في غاية تأخرهِ كان الفطرِ ايضًا في غاية تأخرهِ في اليوم

١) ان قول البيروني في ان الحاصل من قسمة سني آدم ٥١٨٠ هو ١٢ يدلُّ على ان المقسوم عليهِ هو ١٩ فالمراد اذن الدور القمري

٢) العبُور (עבור) في السنة الاسرائيليَّة هي السنة الاضافية التي يُزاد فيها شهر يكون عدد ايَّامهِ ٢٩ يومًا ووقوعهُ سبع [illegible]ت في كل ١٩ سنة. وهذا الشهر يدعى آذار الثاني (ואדאר)

٣) بهزيجوح عبا[illegible] عن جملة حسابية يُعرف بترتيب حروفها دور السنة الاضافية عند اليهود

٤) قد نبهنا على ان الفصح في سنة صلب المسيح لم يقع في ٢٥ آذار لكن في ٧ نيسان كما رجّح العلماء ذلك

٥) يريد قوانين الرسل وهي مشهورة يرتقي جوهرها الى ايَّام الرسل وان كانت في صورتها الحالية لا تتجاوز القرن الثالث للمسيح

الخامس والعشرين من نيسان (١ فلذلك صارت الايام التي يتردَّد فيها فطرهم خمسةً وثلاثين يومًا واوَّل الصوم لاجل ذلك متردّد بموازاة مع الفطر في مثلها من الايام اولها اليوم الثاني من شباط وآخرها اليوم الثامن من آذار فيصير اعظم البُعدَين بين اول الصوم والفصح تسعة واربعين يومًا واصغرهُ اثنين واربعين يومًا

وبين استقبال الفصح واجتماع اذار في السنة البسيطة او اجتماع اذار الثاني في السنة العُبور اربعة واربعون يومًا وسبع ساعات وعُشر ساعة فصار هذا الاجتماع يتخلّل ابدًا فيما بين اول البعد الاصغر واوَّل البعد الاعظم وقع قريبًا من اول الصوم واعتُمد على الاعتبار بهِ وهو ان يُنظر الى الاجتماع الكائن في شباط ويُتصفّح عن اقرب الاثانين اليهِ من جهتيهِ اعني قبلهُ وبعدهُ فان كان في حدّ الصوم الذي هو الثاني من شباط الى الثامن من اذار فهو اول الصوم وان قَصُر عنهُ فوقع خارجًا عن الحدّ أُهمل الاجتماع وفُعل بالذي يتلوهُ ما فُعل بالمتقدّم فيُوقف بذلك على اول الصوم (٢ . . .

وقد كان اصحاب المسيح عليهِ السلام يحتاجون الى تقديم المعرفة بفصح اليهود ليستنبطوا منهُ اوَّل الصوم فكانوا يستفتون اليهود فيهِ ويسئلونهم عنهُ وهم للعداوة بينهم وبينهم كانوا يخبرونهم بخلاف الحقيقة ليضلّوهم ومع ذلك لم تكن تواريخهم متفقة الى ان تجرَّد لحسابهِ كثيرٌ من حُسَّابهم فحسبوهُ على ادوار مختلفة واعمالٍ متنوّعة والذي اجمعوا على استعمالهِ هو الجدول الذي يسمونهُ خرانيقون (٣ وزعموا انَّ اوسيبس اسقف قيسارية حسبهُ مع ثلاثمائة وثمانية عشر نفرًا من الاساقفة في السنودس الاول (٤

---

١) قد سبق (ص ٢٢١) ان الفصح لا يتقدَّم على اليوم ٢٢ من اذار ولا يتأخر بعد ٢٥ نيسان

٢) للبيروني هنا فصل طويل في السنين البسيطة والكبيسة ضربنا عنهُ صفحًا لما وقع فيهِ من الاغلاط النسخية التي ذهبت بمعناه

٣) خرانيقون لفظة يونانية معناها الحساب عمومًا والحساب السنوي خصوصًا

٤) قد اثبت البيروني هنا ذاك الجدول يستفاد منهُ تعريف بدء الصوم وفقًا للحسابين الشمسي والقمري معًا . اما نسبة هذا الجدول الى اوسابيوس القيصري فهو امر مُحتمل لكنَّنا لم نجدهُ في مجموع اعمالهِ الذي نشرهُ مين . وما لا شبهة فيهِ ان علماء النصارى اصطنعوا لحساب الصوم والفصح جداول عديدة نخصّ منها بالذكر جدول القديس مكسيم المطبوع في جملة اعمال الاباء اليونان (في المجلد ١٩) . وللمسعودي في كتاب التنبيه والاشراق وفي كتاب مروج الذهب فصل مطوَّل في هذه الحسابات القديمة

[واعلم ان الجمعة التي بدوءها يوم الفطر (١] تسمّى ايضاً السمانين الصغير واول احد بعد الفطر يسمى الاحد الحديث وفيهِ لبس المسيح البياض وقد يجعلونهُ مبدأ للاعمال وتاريخاً للشروط والقبالات لانهُ بمنزلة اول الآحاد اذ الاحد المتقدم لهُ مختصّ باسم أشهر وهو الفطر. والآحاد كلّها معظّمة عند النصارى لاتفاق السعانين والقيامة فيها كما ان السبوت معظّمة عند اليهود لما ذُكِر في التورية ان الله تعالى قد استراح فيهِ بعد الفراغ من الخليقة. وقد حكى بعض علماء الاسلام ان تعظيم الجمعة هو لفراغ الباري عن خلق العالم ونفخهِ الروح في آدم. . . وبعد الفطر باربعين يوماً عيد السلّاقا (٢ ويتفق ابداً يوم الخميس وفيهِ تسلّق المسيح مُصعداً الى السماء من طور زيتا (٣ وامر التلاميذ بلزوم الغرفة التي كان أفصح فيها بيت المقدس الى ان يبعث لهم الفارقليط وهو روح القدس. وبعد السلاق بعشرة ايام وهو ابداً يوم الاحد عيد البنطيقسطي وهو يوم نزول الفارقليط وتجلّي المسيح لتلاميذه (٤ وهم السليحون ثم اختلفت ألسنتهم فتفرّقوا ومضت كل فرقة الى موضع اللغة التي أُلهِمتها وتكلّمت بها (٥. وفي عشاء هذا اليوم يسجد النصارى الى الارض اذ لا يسجدون من لدن الفطر بل يصلّون وهم قيامٌ لنصٍّ على ذلك وفي جميع ايام الآحاد ينطق بهِ آخر قوانين السنودس الاول. واول صوم السليحين وهم الحواريون عند النصارى الملكانيّة هو يوم الاربعاء بعد الفنطيقسطي بعشرة ايام وفطره ابداً يوم الاحد بعد ستة واربعين يوماً من اوله واليوم الثالث من ايام هذا الصوم وهو يوم الجمعة يسمى جمعة الذهب وذلك لان الحواريين (٦ مرّوا فيها على رجل مقعد بيت المقدس يسأل الناس شيئاً فناشدهم الله بالتصدّق عليه فقالوا لهُ: « ما معنا ذهب ولا فضة ولكن قُمْ واحمل سريرك وامضِ لأمرك. فهذا جلّ ما نقدر عليه لك ». فقام مُعافًى وحمل سريرهُ ومضى لشأنهِ. واكثر هذه الاعياد قد رُسمت في جدول الصوم فاذا استخرج منهُ الصوم وُقف عليها ايضاً دفعةً

١) قد سقط هنا من الاصل بعض الفاظ فجعلنا بين معكّفين ما يحتاج اليهِ المعنى.

٢) السلّاقا لفظة سريانية (ܣܘܠܩܐ) يراد بها عيد الصعود ٣) طور زيتا على لفظها السرياني معناها جبل الزيتون ٤) قول البيروني: « ان المسيح تجلى لتلاميذهِ في يوم البنطيقسطي » معناهُ ان الروح القدس اثبت في ذلك اليوم بآياتهِ دعوة المسيح ولاهوتهُ

٥) هذا زعم ذهب اليهِ بعض النصارى وليس هو ثبتاً. وانما جاء فقط في سفر الاعمال ان الرسل تكلّموا بألسنة شتّى ٦) يريد بطرس ويوحنا. راجع سفر الاعمال الفصل الثالث

السمك الكهربائي وكهربائية الحيوان

بقلم الاديب شحاته خزام احد طلبة مكتبنا الطبي

الكهربائية الحيوانية

ان وصفنا السابق للسمك الكهربائي يؤدي بنا الى البحث عن الكهربائية الحيوانية عموماً وعما يوجد منها في هذه الاسماك خصوصاً كما ألمنا الى ذلك في صدر تلك المقالة

واعلم انَّ كثيراً من نخبة العلماء قد طرقوا أبواب البحث في هذا الموضوع المفيد توقاً لاستطلاع حقائقهِ الجليَّة وللوقوف على سرّ تلك الخاصَّة الغريبة والمزيَّة العجيبة التي امتازت بها هذه الحيوانات المائيَّة ألا وهي قوَّتها للتفريغ الكهربائي. واوَّل من نبَّه الافكار الى كُنه هذه الخاصيَّة مُوشنبروك (Muschenbrock) فانهُ سبق الجميع الى نسبة هذه القوَّة الموجودة في الاسماك الى الكهرباء. وتبعهُ الطبيعي وَلش (Walsh) فقابل بين كهربائيَّة هذه الاسماك وكهربائيَّة قنينة ليدن وبيَّن انَّ كل جسم قادر على تفريغ قنينة ليدن يُفرغ ايضاً كهربائيَّة الرعَّاد وما اشبهُ والعكس بالعكس. وعمَّا اثبتهُ انَّ للاسماك المذكورة كهربائيَّتين سلبيَّة في بطنها وايجابيَّة في ظهرها تقومان مقام عضادتي (armatures) الآلة الكهربائيَّة اي خازنها (condenseur) وجامعها (collecteur)

ومذ ذاك الحين توفَّر عدد الباحثين في الكهربائيَّة الحيوانيَّة منهم حنَّا داڤي (J. Davy) بيَّن بالاختبار انَّ هذه الكهربائيَّة اذا أُجريت في دائرة نتج عنها لوائح كيماويَّة من الكهربائيَّة المغناطيسيَّة. ودرس غيره كبكريل (Becquerel) وبرشيت (Breschet) شدَّة هذه الهزَّة الكهربائيَّة ووجهتها. غير انَّ الحدثين من الطبيعيين لم يكتفوا بوصف خواصّ هذه الكهربائيَّة حتى ارادوا ان يتبيَّنوا حقيقتها ويدركوا سرَّها وقبل ان نبدي بآرائهم رأينا ان نصف اجهزة هذه الاسماك الكهربائيَّة وخصوصاً الرعَّاد منها لانَّ اكثر الامتحانات انما جرت فيهِ دونها جميعاً لتوفُّر الرعَّاد في البحر المتوسط

يعود الفضل في وصف جهاز الرعَّاد الكهربائي للعلامة ريدي (Redi) الذي وقف عليهِ لاوَّل مرَّة في القرن الثامن عشر فأحكم وصفهُ. وهذا الجهاز عبارة عن عضوين متشابهين منبسطين على شكل كُلوتين موقعهما على كل من جانبي الرأس

والخيشومين. وهما يتركَّبان من كُتلتين هلاميَّتين (gélatineux) كبيرتي الحجم يبلغ ثقلهما نحو ربع جرم السمكة ولكليهما غلاف متين ذو ألياف. والكتلتان يتضمَّنان عدَّة مواشير (prismes) متساوية الشكل سداسيَّة الزوايا. وكلُّ موشور يتركَّب من خلايا عديدة منضودة باتساق. وبين موشور وموشور غشاء كهرباني ينتهي احد وجهيهِ بتشعُّب من الاعصاب. امَّا الخلايا ففي ضمنها مادَّتان احداهما محبَّبة يتفرَّغ فيها العصب والثانية عبارة عن سيَّال لا شكل لهُ يملو الغشاء العصبي. وهذه المواشير يختلف وضعها ونوع وجهتها باختلاف اجناس السمك الكهرباني. وهي في الرعَّاد افقيَّة الوضع وكل غشاء من هذه الاغشية يتكهرب بكهرباء سلبيَّة من جهة التشعُّب العصبي وبكهرباء ايجابيَّة من الجهة الاخرى

وكذلك الجهاز الكهرباني كلُّهُ يتكهرب من احد طرفيهِ بكهربائيَّة مختلفة. فتكون الكهربائيَّة الايجابيَّة في ظهرهِ والسلبيَّة في بطنهِ. امَّا الانكليس الاميركي (la gymnote) فانَّ جهازهُ الكهرباني على شكل الطول فتكون جهة رأسهِ مكهربة بالكهربائيَّة الايجابيَّة وجهة ذنبهِ بالكهرباء السلبيَّة. ولهذا الجهاز الكهرباني عصبٌ او اعصاب على اختلاف الانواع توصل بينهُ وبين احد المراكز العصبيَّة. والمركز العصبي المناسب لهذه الاعصاب عبارة عن فلق تُدعى الفلق الكهرباني (lobe électrique) موقعهُ تحت الفلوق الثلاثة التي اختصَّت بها كلُّ الاسماك

ويستطيع الحيوان ان يُفرغ كهربائيَّتهُ متى شاء واذا همَّ بذلك لا يكاد يظهر منهُ للعيان تأثيرٌ يدلُّ على انهُ يريد تفريغ جعبتهِ اللهمَّ الَّا رعشة خفيفة وحركة في زعانفهِ وهو عادةً يغمض عينيهِ عند رميهِ عدوَّهُ ببطاريَّتهِ. وربَّما اطلق قذيفتهُ دفعات متوالية ولكن اذا تواترت هذه الطلقات ضعف وفشل ولا يمكنهُ الضرب ثانيةً حتى يسترجع قوَّتهُ المفقودة. وهذه القوَّة لا تعود سريعاً الَّا اذا كان الماء مكشوفاً للهواء تتنفَّذ فيهِ الريح

وممَّا يدلُّ على انَّ الحيوان يستطيع ان يضبط كهربائيَّتهُ ويطلقها متى شاء ان الاستاذ همبولد حاول امساك انكليس اميركي كهرباني فاخذ يخبط بين يديهِ زمناً طويلاً دون ان يُشعرهُ بهزَّتهِ الكهربائيَّة. وكذلك ترى هذه الاسماك اذا مسَّها احد بجسم لا ينقل الكهرباء كقطعة من الزجاج مثلاً أبت السمكة ان تُفرغ كهربائيَّتها كانها تحسُّ ان

قوّتها تذهب سدًى في جسم لا يتأثر من ضرباتها. وممَّا اختبرهُ العلامة ماتيوشي (Matcucci) ان المركز الذي منهُ تنبعث هذه القوَّة الكهربائية موقعهُ في المخ في الفلق الرابع السابق ذكرهُ وراء المُخيخ فلو هُيّجَ هذا الفلق حصلت الضربات الكهربائيَّة وإن أُزلتهُ بطلت القوَّة الكهربائية كما تزول قوة العضلة اذا قُطع عصبها المحرك لها. وكذلك اثبت انهُ لو قُطعت اعصاب الرعَّاد من احدى الجهات فسد الجهاز الكهربائي المتصل بهذا العصب. غير انَّ العصب المقطوع اذا أُثير في دائرة طرفهِ حصلت هزَّة كهربائيَّة. وكذلك تحقق العلماء انَّ بين الهزَّة الكهربائيَّة الصادرة من السمكة واثار مركزها العصبي برهة من الزمان فاذا حرَّك احد مثلًا في الرعَّاد الفلق الكهربائي او عصبهُ مرَّ نحو عُشر الثانية بين تهييجهِ وبروز قوَّتهِ

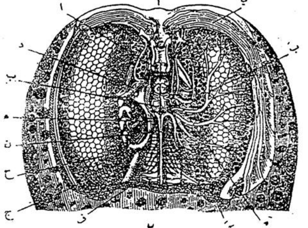
امَّا نتائج التفريغ الكهربائي في السمكة فهي كفاعيلهِ في الادوات الكهربائيَّة فاذا أُجريت هذه الكهرباء الحيوانيَّة في الدائرة الاصلية من ملفّ ذي مجرًى ثانوي اتّقدت منها شرارة بين طرفي الدائرة. ومن غريب ما لحظهُ العلامة ماره (Marey) الذي اجهد ذهنهُ في درس خواصّ الرعَّاد ان كهرباء هذه الاسماك لا تؤثر في بعضها فاذا جعلت عددًا من الرعَّاد في بحيرة مع اسماك غيرها ربَّما قتلت رعَّادة منها بتفريغ كهربائها تلك الاسماك امَّا ذوات جنسها فلا يُصبنَ بأذًى كأنهنَّ مدرَّعات في وجه هذه القوَّة الكهربائيَّة وكذلك لا تؤثر فيها الآلات الكهربائية البتَّة. وقد قاس الاستاذ ماره عدد الاهتزازات التي تصدر من الرعَّاد في كل تفريغ كهربائي فوجد انهُ يبلغ في الثانية ١٦٠ اهتزازًا واذا تكرَّر التفريغ قلَّ عدد الاهتزازات الى ان لا يتجاوز العَشر في الثانية

وقد توصَّل المسيو مورو (Moreau) الى نتائج أُخر بامتحاناتهِ التي اجراها في الرعَّاد. منها أَنَّهُ لا نسبة بين قوَّة التفريغ وشدَّة التأثير فاذا هيَّج احد هذه السمكة بضربة شديدة او بحركة لطيفة افرغت كهربائيَّتها بشدَّة واحدة في كلتا الحالتين

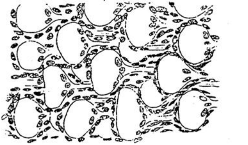
وقد وجد هذا المعلم انَّ السمك الكهربائي حاصل على قوَّتهِ هذه قبل ولادتهِ فانهُ استخرج من بطن بعض الاسماك صغارها قبل تمام النتاج فوجد لهذه الاسماك الصغرى قوَّة كهربائيَّة ظاهرة. واكتشف ايضًا ان شدَّة التفريغ الكهربائي في هذه الاسماك تختلف مع اختلاف الآثار الجويَّة كالبرد والحرّ. ومعظم قوَّتها يلوح في الدرجة ٤٥° فوق

الصفر من الميزان المئوي واذا سُممت السمكة الكهربائية بالاستريكنين اصابها الكُزاز (tétanos) فتفرغ اذ ذاك كهربائيتها لادنى تأثير . وبخلاف ذلك يمكن تلطيف هذه القوَّة ببعض المخدّرات كمركّبات الافيون وغيرها

١



٢



(الشكل الاوَّل) صورة الجهاز الكهربائي في الرعَّاد ا : المخ . ب بَ : المخ المستطيل . ن : النخاع . د عصب الزوج الخامس الكهربائي ه هَ : عصبا الزوج الثامن الكهربائي . ف : عصب الحنجرة في اعلى قصبة الرئة . ج : الكلوة الكهربائية الشمالية بتمامها . جَ : كلوة اليمين الكهربائية مشرَّحة مع بيان اعصابها . ح : خزانة الزعنف الاخير الاخير . ي : انابيب حسَّاسة تفرز المادَّة اللزجة

(الشكل الثاني) الخلايا التي منها يتركَّب جهاز الرعَّاد الكهربائيّ وبها تتَّصل الاعصاب

والاختبارات السابق ايرادها قد أُجريت في الرعَّاد خاصَّة لكنها تصحُّ ايضاً في

الانكليس الاميركي الذي خُصَّ بقوَّة كهربائية اشدّ من الرعَّاد . امَّا سماك اللماء والفترة والورنك فانهُ الى الآن لم تُعرف حقَّ المعرفة وكان العلماء ينكرون سابقًا وجود الكهربائيَّة فيها وينسبون اهتزازاتها الى قوَّةٍ عصبيَّة مختلفة عن الكهرباء. الّا انَّ المحققين من المحدثين كشفوا عن هذا السر تمامًا ولم يبقوا ريبًا في خواصها الكهربائية

*

بقي علينا بعد الفوائد السابقة ان نبحث عن تعليل هذه الظواهر العجيبة التي في الاسماك الكهربائيَّة وكشف النقاب عن حقيقة امرها. وهو لعمري مبحث خطير تصدَّى لهُ العلماء. فذهبوا في شرحهِ مذاهب مرجعها الى ثلاثة آراء نعرضها هنا بوجيز الكلام

فالرأي الاول دافع عنهُ دوبوا ريمون (Dubois-Reymond) قال انَّ الجهاز الكهربائي في الرعَّاد والاسماك المجانسة لهُ هو اشبه بالمغناطيس الذي تتركَّب كل دقيقة من دقائقهِ من قسم ايجابي ومن قسم سلبي الّا انَّ العصب يفرز هاتين الكهربائيَّتين فيوجّه كلاًّ منهما الى جانب واحد فيصبح بذلك جهاز السمكة كالبطاريَّة المنضَّدة في المواشير فعند التفريغ يمتزج السلبي بالايجابي ومنها تحصل الهزَّة الكهربائيَّة. لكنَّ هذا الرأي مع ما فيهِ من لطيف المعنى ليس هو مبنيًّا على امر وضعي وانَّما هو مجرَّد حدس فلذلك لم يرضَ بهِ اليوم احد من العلماء.

والرأي الثاني للطبيعي رانفيار (M. Ranvier) زعم انَّ جهاز الرعَّاد كخازن للكهربائيَّة (condensateur) وتتولد فيهِ هذه القوَّة من سيَّال يُجريهِ اليهِ الفلق الكهربائي. وهذه الكهرباء هي سلبيَّة امَّا الايجابيَّة فيدَّخرها بقوَّة الجوار (par influence). ومن ثمَّ يحدث في الحيوان عمل كياوي كما يحدث للمعدن اذا غُمس في مائع يحلّل دقائقهُ. وهذا الرأي الثاني منقوض بعدَّة براهين منها انَّ هذا الحيوان يتصرَّف بكهربائيَّتهِ كيف يشاء يُفرغها بمطلق وهمهِ ولو ثبت قول رانفيار للزم ان الرعاد يُطلق قوَّتهُ الكهربائيَّة كلَّ مرَّة مسَّتهُ اليد او غيرها شاء ام ابى. وكذلك ينتج من قول رانفيار انهُ لو جُعلت دائرة تامَّة بين بطن الحوت وظهرهِ في آن راحتهِ لجرى فيهِ مجرًى كهربائي. والامر بخلاف الواقع فانهُ لا أثر لهذا المجرى. وكذلك لو كان جهاز الرعاد كما زعم خازنًا للكهرباء التي تسيل اليهِ من الفلق الكهربائي لاقتضى الامر ان يبقى بعد قطع هذا الفلق باقية من الكهرباء في الجهاز. والحال انهُ

لا يبقى اثر لهذه القوَّة مذ يُقطع الفالق المذكور بل تبطل تماماً في ساعتها

امَّا الرأي الثالث فهو اقرب الى الحقيقة ارتآهُ العلامة الشهير دارسُنفال-d'Arson (val موخَّراً وقد جنح اليهِ اكثر العلماء. وهذا الرأي انما هو مستنذ الى امتحانات سبق اليها المسيو ليمان. فانَّ هذا الاستاذ البارع كان اخذ قرصاً مجوَّفاً وضع فيهِ زئبقاً وجعلهُ فوق ماء ممزوج بالملح العادي فلحظ ان كلَّ تغيير ميكانكي في القرص يحدث اختلافاً في قوَّة الكهرباء بين الزئبق والماء المالح. فبنى دارسنفال رأيهُ في كهربائية الرعَّاد على هذا القول فادَّعى انَّ الاغشية التي تعلو خلايا الجهاز الكهربائيّ يُصيب سَطحها تأثير يُحدث التفريغ الكهربائي. فان في هذه الخلايا مادَّة زلاليَّة مركَّبة من عنصرين اسفل فاعلى. فالعنصر الاسفل المدعو بروتوبلاسما اذ اثارهُ العصب تكهرب بكهرباء سلبيَّة. امَّا العنصر الاعلى فيتكهرب بكهرباء ايجابيَّة. ولمَّا كان عدد هذه الخلايا أُلوفاً مؤلَّفة ومنضمَّة الى بعضها بقطوبها المتجانسة صار مجموعها كمجموع بطاريَّة كهربائية شديدة التواتر ذات فعل عجيب. فكلما حرَّك الحيوان عصبهُ جرى من ذلك تغيير في عنصري الخلايا المذكورة واذا اصاب عدوَّهُ تمت الدائرة فافرغ في عدوِّهِ طاقتهُ الكهربائيَّة. فترى من ثمَّ ان هـذه الاسماك على قول المسيو دارسنفال لا تباشر تكوين كهربائيَّتها الَّا عرضيًّا في ساعة العمل فقط وفعلها اشبه شيء بفعل القوَّة العضليَّة في الحيوان. فكما انَّ عضلات الحيوان لا تبرز فعلها الميكانيكي الَّا عند العمل فعلى هذا المنوال تفرز هذه الاسماك سيَّالها الكهربائي عند حاجتها اليه فلا غرابة والحالة هذه ممَّا لتلك الاسماك من قوَّة التفريغات المدهشة اذ تتوفَّر لديها في آن واحد كل شروط إفراز القوَّة الكهربائيَّة من حيث الكمية والتوتُّر بنسبة وافية

وقد ابتدع المسيو دارسنفال آلة ليؤيد رأيهُ بالاختبار. وذلك انهُ اخذ انبوبة من المطَّاط (الكارتشوك) قسمها اقساماً عديدة وجعل بين كلّ قسم قطعةً من جسم نخر وبين كل قطعة كتيَّة من الزئبق مع شيءٍ من الماء المالح ثم شدَّ طرَفي المطَّاط وعلَّقهُ بحديدة عقفاء. فكان كل مرَّة يتر المطَّاط بجفوة يحس بهزَّة كهربائيَّة في جسمهِ. ثم زاد على المطَّاط ثقلاً واجتذب المطَّاط من اسفل الى فوق فشعر بمجارٍ كهربائيَّة متعاكسة

على ان المسيو دارسنفال لم يكتفِ بهذه الامتحانات بل شرع في درس الاعصاب في الحيوان عموماً وفي الانسان خصوصاً وبيَّن انَّ كل حركة في هذه الاعصاب تكيّفها

بتكييف ما من حيث المفاعيل الكهربائية فضلًا عن المفاعيل الكيموية والميكانيكية

فاستنتج من ابحاثه ان تولّد السيال الكهربائي في كل جسم حيواني حيّ امرٌ جوهري يدخل ضمن احكام الظواهر الفيزيولوجية العامَّة وان هذه المجاري الكهربائيَّة مع كونها تظهر في بعض الحيوانات الباردة الدم لاسيا الاسماك تُرى ايضًا وإن خفيةً في كلّ الحيوانات عمومًا ويمكن تدوين قوَّتها بآلة لطيفة تُدعى إلكترومتر

امَّا الكهربائيَّة التي توجد اصليًّا في تركيب الاجسام البشريَّة وتظهر فيها بعوامل مختلفة فنها ما يقع تحت احكام الضوابط السابقة وينطبق عليها تمامًا. ومنها ما لم يحدَّد الى الآن تحديدًا وافيًا فهو اذًا موضوع بحث وتنقيب لدى العلماء المحققين. وقد وجد اهل البحث انَّ فئة من الاشخاص قليل عددهم خصَّتهم الطبيعة بمزايا اضافية استلفتت اليهم الانظار لما قد حووهُ من خوارق الصنات. فمن هؤلاء من تُصبح بشرتهم احيانًا مركزًا لبعض ظواهر كهربائية كتطاير الشرر من اجسامهم عند لمسها وحصول تفريغات متعددة على من حولهم الى غير ذلك ممَّا يحمل على الدهشة والاستغراب

ولقد روى المعلم ج. ويس (G. Weiss) انهُ اجتمع باحد هؤلاء الاشخاص وتحقَّق انهُ تكهرب هو وثيابهُ بلمسهِ ايَّاه وبقي التكهرب مدةً حتى تلاشى شيئًا فشيئًا. غير انهُ نسب ذلك الى احتكاكهِ بجلد هذا الشخص. وشبَّه تلك الكهرباء بما ينشأ من قبيلها عن الفرك في بعض انواع الجلود كجلد الهرّ وما شاكلهُ

وقال آخرون ان مصدر هذا تأثير العناصر الجويَّة على بعض موادّ عضويَّة توجد طبيعيًا او عرضيًا في طبقات الجلد وخصوصًا على سطحهِ الخارجي مع مواد اخرى غير عضويَّة كالاملاح والمياه وغير ذلك ممَّا يُرى في افرازات الغدد الجلديَّة. الَّا انهم لم يقيموا البيّنات على صحة ما زعموا

وعلى كل حال فلا يخلو الامر وكل ما في هذا الكون من نظرٍ وحكمة بالغة يقف اماها العلم حائرًا والعقول مفحمة. أجل فمهما أُتي الانسان من ذكاء ومعرفة يرى ذاتهُ عاجزًا ويعترف بتقصيرهِ عن ادراك كثير من الحقائق والاسرار الغوامض. فسبحانهُ تعالى رب الطبيعة باسرها ومبدع العوالم بكمالها وخالق ما يُرى وما لا يُرى فهو وحدهُ عزَّ وجلَّ دون سواهُ بكل شيء عليم

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الحوري الشرتوني (تابع لما سبق)

ولسوء الحظ حدث انهُ لمَّا عاد رئيس الشمامسة المذكور شاهد انقلابًا عظيمًا في استعدادات بطريركهِ لان رصينهُ بطريرك القسطنطينيَّة استاء من مذاكراتهِ مع رومية وما زال يعمل على تغيير افكارهِ حتى استمالهُ الى ما أراد. ولا عجب في ذلك فان بطريرك انطاكية هـذا كان سريع التقلب طائش الرأي لانهُ بعد ان وقَّع لاول مرَّة مجمع فلورنسة بواسطة معتمدهِ ايزيدور رئيس اساقفة كياف عاد فحرمهُ في مجمعين من الاساقفة انعقدا في اورشليم والقسطنطينيَّة (١. واذا كان قد سيَّر موسى رئيسَ الشمامسة الى رومية فانما قصد من ذلك مرضاة بعض الاساقفة التابعين لهُ واستمالة المقدَّم رزق الله اليهِ فكل ما عملهُ اذًا قد تحرَّى بهِ التسويف واغتنام الوقت

على انهُ تقبل بالاحترام رسالة البابا وبعد ان أَطلع عليها قال: « سنتذاكر في شأنها مع اخوتنا الاساقفة لان اقصى امانينا ان نرى الاتحاد ناشرًا لواءهُ بين جميع المسيحيين »

وما كان منهُ هـذا الكلام في الحقيقة سوى اسلوب ادبي لطيف للتخلُّص من البحث في مسألة الاتحاد. وكان البطريرك المذكور كسائر الاشخاص الطاعنين في السن يتردَّد كثيرًا ولا يجزم بشيء. ولمَّا اجتمع الاساقفة لمداولتـه خطب موسى في الجميع موضحًا المنافع الكثيرة الناجمة عن التقرب الى الغرب فلم يفُز بوطر

وكان من جملة ما ورد في خطابهِ قولهُ: « ان البابا لا يطلب منَّا تضحية ولا شيئًا آخر يضرُّ بنا ويجحف بصوالحنا بل يريد ان نحافظ على عاداتنا القديمة وليترورجيتنا وسلسلتنا الاكليريكية. ثم انهُ يبقي لنا الطقوس التي باشرها اجدادنا على ممرّ الاعصار الماضية واللغة التي رفعنا بهـا في حالتي السرَّاء والضرَّاء أصواتَ الوطن الارضي نحو الوطن

١) المشرق (١: ٦١)

السماوي. وليس ذلك فقط بل يريد منّا ان نحفظ الكهنة والاحبار من دمنا وسلالتنا وصلوات لغتنا والاتحاد مع كنيسة انطاكية المقدسة والشركة مع اخواننا في العسر واليسر ولا يُرئّس علينا قطعاً رؤساء غرباء او يفرض استعمال لغة مجهولة وطقوس جديدة غير التي كانت لاجدادنا. وان كانت رومية تريد ان ترى منّا تلامذةً للمسيح اعظم كالًا فلا تلزمنا بجحود اصلنا ونسيان ماضينا. وغاية ما يطلبهُ منّا بيوس الثاني هو ان نعترف بما اعترف بهِ آباؤنا منذ اعصار طويلة اعني اوَّلية خلفاء بطرس الرسول. على ان بطريركية انطاكية لا تدَّعي بمجد الله ما تدعيهِ بطريركية القسطنطينية ولا تلقّب نفسها بالمسكونية فما الداعي اذًا الى اقتفاء آثارها وسلوك منهاجها

« واذا كانت رومية لم تولِّ علينا في الماضي رؤساء اجانب فلم تتصرَّف معنا مثل هذا التصرُّف بطريركية القسطنطينية لان بطاركة هذه الكنيسة اي كنيسة القسطنطينية لا تهتمّ الَّا بمنافع اليونان وصوالحهم وقد ابدت لنا التجارب اننا كلّما حاولنا اقترابًا منهم عاد ذلك بمزيد الضرر على استقلالنا الديني والوطني ومن منكم لا يتذكر البطريرك ثيادورس بلسامون الذي نصبتهُ القسطنطينية على بطريركية انطاكية وما اثار من الحرب الشديدة على ليتورجيّاتنا وعاداتنا (١ أفما كان الاجدر بنا ان نتعظ من هذا الامر وحدهُ ونتخذ الحيطة لانفسنا

« ولا يخفاكم اننا عشنا مع الغرب مدَّة اعصار طويلة على اتمّ وفاق وسلام وكانت تلك الأيام كما تعلمون افضل ايام تاريخنا بل يمكننا ان نثبت اننا ما انفصلنا قط انفصالًا تامًا عنهُ او بالحري ان هذا الانفصال لم يعمّ البطريركيّة. وماذا يا ترى غنمنا من وراء الانفصال أوليس التاريخ افضل شاهد على اننا لم نجنِ غير الخسران. اما ترون ان الانفراد ليس بكافل لسعادة صاحبهِ بل انهُ مَجلبةٌ لفقدها. ام ليس الافضل ان يعتمد المرء على ذي سلطة قويَّة لا يريد لهُ غير الخير والعلاء. واذا اتحدنا مع الكاثوليك نصير مع محافظتنا على استقلالنا الخاص مرتبطين مع سائر العالم المسيحي وتمدّنا البابويَّة بمعاونتها الادبيَّة كما يمدنا الغرب كلهُ بعضدهِ ويمنّ علينا بميلهِ وارتياحهِ »

وكان لهـذا الكلام الذي فاه بهِ موسى رئيس الشمامسة وقع عظيم في الحاضرين حتى اقتنع بهِ كثيرون من الاساقفة وعضدوهُ لانهُ في القرن الخامس عشر لم يكن من

١) المشرق (٣ : ٢٧١ و ٢٧٢)

وجود لاخويَّة القبر المقدس اليونانيَّـة فكانت بطريركيَّة القسطنطينيَّة لا تستطيع ان تتصرَّف بانطاكية كما تشاء وتريد على مثل ما جرى بعد ذلك ممَّا عاد بالضرر العظيم على الكنيسة الملكيَّة

على ان هذه الكنيسة قد شعرت في أواخر القرن التاسع عشر بما يتهدَّدها من خطر ضياع استقلالها الديني فقامت من ثمَّ تستردهُ شيئًا فشيئًا وطلَّقت حماية الفنار وانكرت وحدة الاصل بين اليونان والملكيَّة (١ وان كان قد حامى عن هذا الامر الاولون لاغراض لا تخفى

غير ان كل الادلَّة التي اتى بها الاساقفة الراغبون في الاتحاد لم تقوَ على اقناع ذاك الشيخ الجبان فكانت غاية ما عملهُ انهُ قرَّر وجوب الشكر للبابا بيوس الثاني على عواطفهِ الحسنة نحو الكنيسة الشرقيَّة . وكان يظن انهُ بهذه الطريقة يتحاشى الدخول في اساس مسألة الاتحاد دون ان يقطع العلائق مع رومية

وبعد ان قام موسى بما يجب عليه في انطاكية كان اول خاطر خطر لهُ ان يزور شقيقتهُ راحيل التي طال عهد غيابهِ عنها فشخص الى طرابلس واستصحب شقيقتهُ الصغرى حنة وسار الاثنان الى قصر البترون وكان وصولهما اليهِ قبل رجوع زين وقرينتهِ ببضع ساعات من جزيرة البحيرة

ولو ان هذا الشقيق الشفيق وصل الى البترون قبل ذاك الوقت باسبوع واحد لادَّى قدومهُ بلا ريب الى تجديد الاحزان على تلك القرينة المهملة . امَّا الآن وقد وافى بعد امتزاج الزوجين فقد شمل الفرح قصر البترون ولاسيما راحيل التي كانت قد دفنت الماضي في قبر النسيان وآلت ان لا تذكرهُ

وتحدَّث موسى مليًّا مع المقدم زين عن مدينة رومية وسائر المدن الايطاليَّة التي زارها . وقد سألهُ المقدم عن البندقيَّة التي كانت سفائنها تأتي في مواقيت معيَّنة الى طرابلس وبيروت (٢ وتقف بعض الاحيان في مياه أنفة البترون

وكان موسى قد مرَّ على مدينة جنوة التي نشأت فيها أسرة لبرياك قديمًا ولدى عودته من اوربَّة عرَّج على قبرس لمشاهدة آخر فرع بقي من اسرتهِ التي هاجرت من

١) الارج الزكي والمشرق (٤: ٦٧٠ و ١١٢٤ الخ)

٢) راجع هيد: تاريخ تجارة الشرق والقلقشندي

سوريَّة الى تلك الجزيرة ولم يلبث المذكور ان توفي بعد سنوات قليلة غير تارك عقبا (١

وفي مروره على مانتوة لاقى مندوبي الجزائر اليونانيَّة ذاهبين الى رومية لاجل طلب حماية البابا. وتحدث ايضاً مع مندوبي دوق بورغندية. ولمَّا علم المذكورون ان موسى رئيس الشمامسة آتٍ من سوريَّة اخذوا يستعلمونهُ عن الاب يوحنا الذي كان اميرهم يشتاق الى سماع اخباره

ولمَّا عاد موسى الى رومية بمعيَّة الحاشية البابويَّة وصل اليها الامير توما احد امراء اليونان من سلالة ملوك باليولوغ وكان فارًّا من وجه اعدائهِ وحاملًا ذخيرة نفيسة وهي رأس اندراوس الرسول (٢ فلمَّا وصل بالذخيرة المذكورة استقبلتها المدينة الازليَّة بما لا مزيد عليهِ من الاحتفالات والتكريمات. وقصارى القول ان موسى اطلع في كل محلّ مرَّ بهِ على نهضة الكنيسة الكاثوليكيَّة وسطوة البابويَّة وكان دائمًا يقابل هذا النجاح والتقدم مع ما يراه في الكنائس المنفصلة من التأخر. ولم يكن امر كهذا يخفى على بصيرة وقَّادة كبصيرة موسى المذكور

وبعد ايام عزم المذكور على الذهاب الى بشراي لمواجهة المقدم رزق الله وصدَّه عن ذلك صهرهُ المقدم زين الذي اطلعهُ في الوقت نفسهِ على كل ما جرى من الحوادث في جبل اللكام وفي ناحية بحيرة قدس

٢٥

بعد ان مضت ايام قليلة على سفر مقدَّم البترون أُخرج الاب يوحنا من محبسهِ بأُبهة غير مألوفة

وكانت شواطئ البحيرة في ما مضى هادئة مقفرة لا حركة فيها غير انها تحوَّلت في ذلك اليوم الى عكس ما كانت عليهِ فما كنت ترى غير رجال وخيل ولا تسمع سوى صراخ وضجيج واوامر تصدر الى الزعماء مصحوبةً بصليل السلاح وبريق السيوف والرماح والدروع المتلألئة تحت انوار الشمس. وكانت الزوارق والقوارب تتجه من كل انحاء البحيرة والسدّ وقرى قطينة وزمارية وكفرعبدة ذاهبة الى تلك الجزيرة الصغيرة

١) دوكانج: كتاب الأُسَر
٢) باستور

والتفت الاب يوحنا من نافذة كوخهِ فوقع بصرهُ الضعيف على جمع غفير يتارج على ضفاف البحيرة وقوارب عديدة سائرة نحو الجزيرة بركابها فرابتهُ هذه الحركة وقلق ممّا شاهد من السلاح والجنود واخذ يحدث نفسهُ قائلاً: «أترى هم آتون لينقلوني من سجني هذا الى سجن آخر؟ وهل تردّد راحيل والاب جرمانوس ايقظ ظنون جوسلين فرأى ان حالتي في منفاي لم تزل خفيفة محتملة فجزم بابعادي الى حيث اذوق مرارة اشدّ؟» وتذكّر اذ ذاك بارتعاش ما قاسى من الجهد والمشقة في سفره من دير الصليب الى بحيرة قدس وما تكبّد من فظاظة البدو الذين ساقوهُ اليها

وبينما هو في هذه الافكار كانت القوارب قد وصلت الى شاطئ الجزيرة وفي مقدمتها زورق خرج منهُ اثنان اول الجميع وكان احدهما طويل القامة شاكّ السلاح يدلّ ظاهرهُ على انهُ زعيم تلك الجماعة نظرًا لما كان يحفّ بهِ من الاكرام والاعتبار. واما الآخر فكان اكبر سنًّا ومتردياً بملابس راهب. وما كان غير قليل حتى وصل المذكوران الى كوخ الاب يوحنا فبادر الاول وقبّل يديه باحترام وانطرح الثاني عليه فعانقهُ بانعطاف وكان الاول الامير رزق الله والثاني فرا غريغون

واول ما وقع بصر الامير رزق الله على ذاك الرجل البار خاطبهُ قائلاً: نحمد الله اننا التقينا بك في آخر الامر

فقال ذلك الشيخ الجليل: ان الله سبحانهُ لم يسمح بموتي قبل ان يعزّيني بان اباركَ ولدًا احبهُ وأعانق رصيفًا قد طالما صحبتهُ في سبيل خدمة الخلاص

قال هذه الكلمات والتفت الى فرا غريغون وعانقهُ طويلاً وهو يذرف الدمع فعمل هذا المشهد المؤثر في كل من حضرهُ ولاسيما الامير رزق الله الذي لم يكن يقوى على تحويل بصرهِ عن وجه معتقهِ وغارس العواطف الشريفة فيه. وكانت الاوجاع التي قاساها الحبيس في السنتين الاخيرتين من حياتهِ قد خلّفت فيهِ آثارًا تدلّ على ما كان تأثيرها عليهِ فان لحيتهُ كانت قد ابيضّت كالثلج ومحيّاهُ قد استطال ودقّ وعينيهِ قد غارتا تحت الحجاج ورجليهِ قد خارتا فصار اذا مشى يتوكأ على العصا. غير ان صوتهُ لم يتغيّر وظلّ محافظًا على ما فيهِ من لطف وحلاوة وكان اذا تكلّم أشعر دائمًا بما يكنّهُ ذاك الشيخ الجليل من نفس عالية وعواطف سامية

ولمّا نظرهُ المقدم رزق الله على هذه الحال فاضت الدموع من مقلتيهِ ولم يستطع

كتمان ما جاش في صدرهِ من الغضب على الذين عذبوا هذا الاب القديس فقال:

يا لهم من برابرة كيف اساؤوا معاملتك. غير ان الاب يوحنا تظاهر بانهُ لم يسمع ما قيل لهُ فاستأنف الكلام ممسكًا بيد فراغريفون والامير رزق فقال:

الشكر لكما كل الشكر اذ اتيتما لتغمضا عينيَّ هذا المنفيّ المسكين. الان استطيع ان اموت مطمئنًا لاني رأيتكما وضممتكما بين ذراعيَّ. اللهمّ انك اوليتني سعادة عظيمة لم اكن استحقها

فقال الامير رزق الله: لا تتكلّم هكذا يا ابي لان الله اذا جمعنا حتى لا يفرّق بيننا ولقد علمتُ بكل ما قاسيتهُ من النكد والاوجاع ولمتُ نفسي كل اللوم على كوني لم اعرف كيف اتلافى كلّ ما حلّ بك ولست نادمًا الّا على انك صددتني عن إتزال غضبي بالمنافق جوسلين ولا ريب انك تتذكر ذلك. غير اني عازم على تعويض الشرّ الذي لم استطع تداركهُ. واعلم ان محبّتنا البنويّة تعرف كيف تُنسيك مرارة الزمن الماضي. وفي الختام اقول لك ان يد الله العادل قد ثقلت على من كان يضطهدك

— أعلى جوسلين؟ قل يا ابني هل حدث لهُ سوء؟.

— لم يَعد بين الاحياء.

— هل مات؟ وكيف؟ هل عرف ضلالتهُ؟ وهل استغفر الله والبشر؟. ولا ريب انك يا فراغريفون كنتَ حاضرًا فاخبرني هل عاند ما بذلتَ لهُ من النصائح حتى يُنيب الى الله

فقال فراغريفون: انهُ مات كما عاش دون ان يبدي أسفًا على الماضي ولقد حاولت كثيرًا ان أغيّر قلبهُ الجاسي فذهب السعي باطلًا

وهنا قال الامير رزق الله: انّ المشنقة قضت اخيرًا قضاء عادلًا على حياة مشحونة بالآثام والجرائم

فقال الحبيس متوجّعًا: ماذا تقول يا ابني هل مات جوسلين دون ان يندم على اساءاتهِ؟ ثم خفض صوتهُ واخذ يقول في سرهِ: ولكن كم من مرة قدَّمت اوجاعي بل قدَّمت حياتي ايضًا لاستدرّ لهُ نعمة الاعتراف بذنبهِ قبل ان يقف امام منبر الديان الرهيب. كلا لا اظن انّ عملي ذهب باطلًا ويلزمني ان اصلّي وابتهل من اجل هذا الضال الشقي

(الباقي للآتي)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

القسم الثاني

جغرافية لبنان وتعريف الامم التي سكنته

١ اسم لبنان وسعة نطاقهِ في التاريخ

قد بلغ بنا تقصّينا لآثار لبنان الى تخومهِ الشماليَّة فرأينا ان نحطّ برهةً عصا التسيار لنبحث في قسم ثانٍ عن بعض احوال هذا الجبل الشهير ممّا يشمل تاريخهُ اجمالاً ويعمُّ شؤونهُ من حيث تقاسيمهِ الجغرافيَّة مع تعريف الامم التي سكنتهُ في سالف الاعصار. وهو امرٌ يفيدنا لادراك ما بقي علينا من وصف آثارهِ في جهاتهِ الأُخر

لا جرم ان القارئ اللبيب قد لحظ في خلال فصولنا السابقة انَّ اسم لبنان لم يُطلق في كلّ اطوار التاريخ على ثغور معروفة وربَّما اتسع او انحصر معناهُ على اختلاف الظروف وترعات الكتّاب. فلحَسْر لثام الشبهات وازالة كلّ المعضلات رأينا ان نبيّن حدود لبنان في الازمنة الغابرة بما امكن من التدقيق

ليس من احد يجهل اليوم موقع لبنان ونواحيهُ الاربع وكلٌّ يعرف انَّ المراد بهِ تلك السلسلة الجبليَّة الممتدة بين البحر المتوسّط او بحر الشام والنهرين الشهيرين النهر الكبير والليطاني

بيد ان معنى لبنان لدى القدماء لا ينطبق على مفهومنا بهِ في عهدنا. واوَّل ما ينبغي استفادتهُ من كتب التاريخ الاسفار المقدسة فان هذا الاسم ورد فيها على صورة لَبْنُون (לבנון) وهكذا عرفهُ ايضاً الفينيقيُّون. امَّا الاشوريون فيدعونهُ لَبْنانو. وممَّا يستفاد من الكتاب الكريم انَّ لبنان جبل شاهق فخيم في شمالي نهر الليطاني يحدّ ارض الميعاد من تلك الجهة

وقد تكرَّر ذكر لبنان في صُحُف العهد القديم وان كان هذا الجبل خارجاً عن

ملك اسرائيل. واكثر ما ورد اسمهُ في اوصاف الكتاب الشعريَّة كما اثبتنا ذلك في مقالتنا عن ارز لبنان (المشرق ٤: ٩٣٠-٩٣٨). وذكروا بين خواصهِ الثلوج الغراء التي تكلّل هامتهُ (راجع سفر ارميا ١٨: ١٤) فبيَّنوا بهذه الاوصاف انهم ارادوا لبناننا دون سواهُ

وممَّا جاء ذكرهُ ايضًا في الكتاب الكريم وادي البقاع الخصب الذي يفصل لبنان عن جبل الشيخ وهو يدعى هناك «مدخل حماة» او «الطريق الى حماة (١» وهو اسم يطابق المسمى لانَّ سهل البقاع اشبه بطريق لاحبة تنفذ بين جبلين عالين. وفي هذا الاسم ما يُشعر بخطر مدينة حماة وعظم شأنها وهي اول مدينة كبرى كان بنو اسرائيل يلقونها عند خروجهم من تخومهم الشماليَّة الشرقية. امَّا اليونان (٢ فيدعون البقاع باسم ماسياس (Massyas) او مرسياس (Marsyas) وربَّما دعوها ايضًا بسوريَّة الجوفة (Célésyrie) لانطوائها بين الجبلين على شبه الجوف (٣

ويؤخذ من سفر الملوك الثاني (٨: ٨) ان لبنان كان غنيًّا بمعادن النحاس. والمرجَّح ان موقعها كان على العطف الشرقي من لبنان الحالي بازاء سهل البقاع

على ان اصحاب الصحف الكريمة لا يفرقون بين لبنان الغربي والشرقي فاطلقوا على كليهما اسم لبنان. وهو امرٌ يسهل ادراكهُ لانَّ الجبلين متشابهان تشابهًا تامًّا يسيران على خطين متوازيين الى وجهة واحدة وطولها واحدٌ على التقريب وهما يتركبان من صخور كلسيَّة متجانسة. ولا غرو انهما كانا في القرون الخالية جبلًا واحدًا فنصل بينهما حادث جيولوجي غيَّر هيئتهما فانخسفت بينهما الارض وليس وادي البقاع الّا نتيجة هذه القارعة. ومن ثمَّ لا حرج على كتبة الاسفار المقدسة اذا اعتبروا هذين الجبلين كطود واحد وان كانوا لم يدققوا في تعريفهما كما يفعل اليوم الجغرافيون. وليس الامر كذلك في تعريف اسطرابون لهذين الجبلين فانهُ قد وهم وهمًا جسيمًا في بيان وجهتهما كما سترى

---

١) راجع سفر العدد ١٣: ٢٢ و٣٤: ٨ ويوشع ١٣: ٥ الخ وحزقيال ٤٧: ٢٠ الخ وعاموس ٦: ١٤ الخ

٢) راجع تاريخ پوليب ك ٥ ف ٤٥, ٤٦, ٦١ وجغرافية اسطرابون ك ١٦ ف ٢, ١٠ الخ

٣) راجع معجم الكتاب الاقدس لفيكورو في المادة وجغرافية فلسطين القديمة لبول (Buhl) ص ٨٣

واوَّل من احكم الفصل بين الجبلين السابق ذكرهما كتبةُ اليونان فانهم قد افرزوا بينهما وخصُّوا احدهما باسم لبنان ودعوا الآخر انتيليبانوس (Ἀντιλίβανος, Antiliban) ومعناهُ الجبل القائم بازاء لبنان وكلا الاسمين شائع حتى ايامنا بين الكتبة. ومما يدلُّ على قِدَم اسم انتيليبانوس ان اصحاب الترجمة السبعينيَّة في القرن الثالث قبل المسيح نقلوا اسم لبنان العبراني الى اليونانيَّة باسم انتيليبانوس لمَّا رأوا انَّ مدلولهُ الجبل الشرقي لا لبنان الحالي. وذلك في خمسة اماكن من الاسفار الالهيَّة (١. وكذلك ورد في في النصّ اليوناني من سفر يهوديت (٧:١)

وان تصفَّحنا تآليف يوسيفوس اليهودي وجدناهُ متردِّدًا في تعريف لبنان كانهُ لم يطَّلع على اصطلاح اليونان وهو يكتب في لغتهم. فتراهُ اذا ذكر جبل حرمون والجبال المجاورة لدمشق دعاها كلها باسم لبنان

وما لا ريب فيهِ ان كتبة العهد القديم اذا ما ذكروا لبنان وارادوا بهِ الجبل الموازي لهُ انَّما مرادهم فقط القسم الجنوبي من هذا الجبل المعروف اليوم باسم جبل الشيخ وذكرهُ كثيرٌ في التوراة. وقد دوَّنَّا في بعض مقالاتنا السابقة اسماء جبل حرمون عند قبائل سوريَّة وفلسطين فلا حاجة الى التكرار والى بيان صحَّة هذه الاسماء لئلاَّ نخرج عن الموضوع

امَّا اتّساع لبنان وحدودهُ فانَّ الكتاب المقدَّس لا يذكر غير حدِّهِ الجنوبيِّ اعني شمال نهر الليطاني. ومن ثمَّ لا بُدَّ من نقل نصوص قدماء اليونان لتعريف هذه الحدود

*

لعلَّ المؤرخ يوليب (٢ اوَّل من سبق فبيَّن بضبط وتدقيق تخوم لبنان. وهو يفصلهُ عن الجبل الشرقي فصلًا صريحًا ويذكر بين السلسلتين سهل البقاع ويجعل في هذا السهل مخرج نهر العاصي. وممَّن اجادوا في تعريف اتساع لبنان ديودور الصقلي (٣ في القرن الاول قبل الميلاد قال انَّ لبنان يمتدُّ من صيداء الى جبيل وطرابلس وانَّ غابات الأرز تظلّل قمّتهُ (٤

١) تثنية الاشتراع ١:٧؛ ٣:٢٥؛ ١١:٢٤ يوشع ١:٤؛ ٩:١

٢) في كتابهِ الخامس (ف ٤٥,٥٩,٦٩) ٣) ك ١٩ ف ٥٨

٤) راجع المشرق (٤:٦٢٤)

امَّا معاصرهُ اسطرابون فانَّ في كلامهِ لبساً وابهاماً وهاك تعريب ما كتب قال: انَّ سوريَّة المجوَّفة واقعة بين جبلين تفصلهما على التقريب مسافة واحدة في طولها. وكلاهما يبتدئ قريباً من البحر امَّا لبنان فانَّ اولهُ عند طرابلس وجبل ثيوبروسوبون (راس الشقعة. راجع المشرق ٥: ١٠٧) وامَّا جبل انتيليبانوس فبدؤهُ بقرب صيداء (كذا) وهما ينتهيان عند الجبال العربيَّة التي تُشرف على اقليم دمشق» وفي الفصل ذاته قد اثبت اسطرابون انَّ منتهى لبنان عند رأس الشقعة وهو يروي انَّ اعالي لبنان كصتيان وبوروما يأوي اليها قوم من اللصوص وقطَّاع الطرق. وكذلك يزعم انَّ هؤلاء الاوباش يملكون على البترون وجيغرتا ويسكنون الكهوف المشرفة على البحر وحصن الشقعة (١

فترى ممَّا تقدَّم انَّ اسطرابون يفرق بين لبنان والجبل الشرقي ويجعل بينهما سهل البقاع وكذلك لم يشذَّ عن الصواب اذ دلَّ على حدود لبنان الشماليَّة وهو يجعلها تقريباً عند طرابلس لانَّ جبل عكَّار يُعَدّ ايضاً من لبنان فيتَّصل به ويمتدّ بعض اميال الى النهر الكبير الذي يحجز لبنان عن جبال النصيريَّة. غير انَّ اسطرابون وهم وهماً جسيماً بزعمهِ ان كلا الجبلين يبدأ بقرب البحر عند صيداء وهو خطأٌ لا صحَّة لهُ في انتيليبانوس. وكذلك قد اخطأ بقولهِ انَّ الجبلين ينتهيان عند دمشق وهذا لا يصدق عن لبنان وقد ساء ظنَّهُ في الجبلين اذ وصف سيرهما من الغرب الى الشرق اي من البحر الى داخل بلاد الشام وهما في الحقيقة يسيران من الشمال الى الجنوب فيجاريان سِيف البحر

امَّا التفاصيل التي ذكرها اسطرابون عن لبنان ولصوصهِ فقد مرَّ ذكرها في محلّها مع بيان ما صدق منها

وفي وصف بلينيوس (٢ للبنان ما هو اقرب الى حقيقة من سواهُ. وهو يجعل اوَّل لبنان عند صيداء ثمَّ يذكر امتدادهُ شمالاً الى مدينة سيمرَّة القديمة اعني وراء مصبّ النهر الكبير بقليل حيث يبتدئ جبل برجيلوس وهو جبل النصيريَّة. وناهيك بهذه الافادة تدقيقاً وضبطاً. وكذلك لم يندَّ في وصفهِ لبنان وتمييزهِ عن الجبل الشرقي وذكر البقاع وذكر العيون التي يتكوَّن منها العاصي

١) المشرق (٥: ١٠٧–١٠٩)

٢) راجع تاريخهُ الطبيعيّ (ك ٥ ف ٧٨)

ومن ذكروا لبنان من قدماء النصارى اوسابيوس القيسري في كتاب الأعلام (Onomasticon) وتبعهُ القديس هيرونيموس وكلاهما يقول ان لبنان من سلسلة الجبال الغربيَّة المحاذية لبحر فينيقية اما السلسلة الشرقيَّة من جهة دمشق فجبل انتيليبانوس اي الجبل الشرقيّ

فترى من ثمَّ ان القدماء في حدود القرن الرابع كانوا وقفوا على حقيقة موقع لبنان وافرزوهُ عن الجبل الذي هو قائم في وجهه وبيَّنوا وجهة امتدادها. غير ان كتبة القرون التالية عادوا فخلطوا بين الجبلين. ومما افضى بهم الى هـذا اللبس التقاسيم السياسيَّة التي ادخلها ملوك الروم في ذلك العهد فاختلطت الاسماء وصارت الاعلام تدل على غير ما وُضعت لهُ سابقًا

فمن ذلك ان سوريَة المجوَّفة التي كانت تدلُّ في اول الامر على سهل البقاع ليس الَّا اضحت اقليمًا واسعًا يمتدُّ شمالًا الى ما وراء انطاكية بحيث اضحت هذه المدينة قصبة لهُ. وكذلك لم يعد اسم فينيقية يُطلق على الساحل المنحصر بين لبنان والبحر بل صار يعني بلادًا متسعة تبلغ حدودها الى دمشق وحمص وتدمر

وعلى هذا المنوال تغلَّب اسم لبنان الشهير على جبل النصيريَّة المجاور اذ لا يفصل بينهما الَّا وادي النهر الكبير. فأبطل اسم برجيلوس الذي خصَّهُ بهِ بلينيوس الكاتب واعتُبر كأنهُ لاحقٌ بلبنان

ومن غريب ما جرى وتشـذ من التقلُّبات في تقسيم الايالات ان الاقليم المعروف بفينيقية اللبنانيَّة لم يضمَّ في دائرته لبنان الغربي بينما كان محتويًا على تدمر مع بعدها عن لبنان. وكفى بذلك دليلًا على انَّ اسم لبنان لم يؤخذ بمعناهُ الاصلي او انَّهُ كان ادلَّ على جبل انتيليبانوس منهُ على لبنان لاسيَّما بعد ان جُعلت مدينة دمشق كعاصمة فينيقية اللبنانيَّة. ولذلك نرى في اعمال القديس صوفرونيوس الدمشقي انهُ دعا وطنهُ « المتوَّج بلبنان » (Λιβανοστέφανος) ولعلَّ هذا اللقب حمل البعض على الظن بانهُ لبناني الاصل

وعُدَّت حمص قبل دمشق مدَّةً كقصبة ولاية فينيقية اللبنانيَّة فصار الاهلون يدعون الجبال الواقعة بازائها وفي شماليها باسم لبنان وهكذا شمل هذا الاسم جبال النصيريَّة. وفي تاريخ سوزومين (ك ٣ ف ١٥) نرى اسم لبنان مختصًّا بالجبال المحاذية لمدينة افامية. واغرب من ذلك ان تاوفانس المؤرخ في اثناء كلامهِ عن المردة اطلق اسم لبنـان على

كل جبال الشام الواقعة بين مصبّ نهر العاصي والقدس الشريف (١. وقد جرى بقيّة المؤرخين البوزنطيين على هذا الاصطلاح نخصُّ منهم بالذكر المؤرخ قدرينوس

*

ولمَّا ظهرت دولة العرب حفظ ملوكهم التقاسيمَ الجغرافيَّة الجارية قبل عهدهم ولذلك ترى الكتبة السريان كابن العبري(٢ وجغرافيّي العرب يتأثرون اعقاب الروم في وصفهم جبل لبنان فربّما اصابوا او اخطأوا كاسلافهم. فالمقدسي مثلًا يقول في كتاب معرفة الاقاليم (ص٦٠) انَّ لبنان جبل ساحلي مشرف على صيداء وطرابلس. امّا ابن الفقيه الهمذاني (ص١١٢) فانهُ يزعم «انَّ لبنان بدمشق وانهُ متصل ببلاد الروم» يريد قيليقية. وبوصفهِ هذا اطلق اسم لبنان على جبل الشيخ وعلى كل الجبال الواقعة شمالي سوريَّة حتى اللكَّام وقسم من جبل طورس وهو تعريف واسع لم يخطر على بال كتبة الروم

وقال ابن جبير في رحلتهِ (ص ٢٥٦): «وراء المعرَّة جبل لبنان وهو سامي الارتفاع ممتدّ الطول يتصل من البحر الى البحر وفي صفحتهِ حصون للملاحدة الاسماعيليَّة وجبل لبنان حدٌّ بين المسلمين والافرنج لانَّ وراءه انطاكية واللاذقيَّة وسواهما من بلادهم» فترى من قولهِ هذا انهُ ادخل في لبنان بلاد الاسماعيليَّة الواقعة في جبل النصيريَّة بين اللاذقية وحماة وهناك كانت حصونهُ كمصياد والرصافة وخرابي وكهف والمُلَيقة

ولياقوت في تعريف لبنان أقوال غريبة قال (٢: ١١٠ و ٤: ٣٤٧): «لبنان جبل مطلّ على حمص يجيء من العرج الذين بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام... ويمتد الى ملطية وسميساط وقاليقالا الى بحر الخزر» فيجعل كل هذه الجبال جبلًا واحدًا تختلف اساميهِ باختلاف الامكنة. واختصاصهُ باسم لبنان يبتدئ في حلب وحماة وحمص

وقد ذكر شمس الدين الدمشقي في كتابهِ عجائب البرّ والبحر غير مرَّة اسم لبنان

---

١) راجع تاريخهُ في اعمال الاباء اليونان لمين (ج ١٠٨ ص ٧٣١)

٢) راجع تاريخهُ المدني بالسريانية (ص ٢٨٣)

وكلامهُ في الغالب مصيب الّا انهُ يجعل حدودهُ الشمالية الى اللاذقية ويعتبر لبنان كقسم من سلسلة عظمى اولها في جنوبي بلاد العرب

امّا ابن بطوطة (١ : ١٨٥) فيلوح من ظاهر كلامهِ انهُ يُطلق اسم لبنان على الجبل الممتد بين اللاذقية وطرابلس حيث وجد النصيريّة فوصفهم. وكان النصيريّة وقتئذٍ يسكنون ليس فقط الجبل المعروف باسمهم وجبل عكّار بل ايضاً البلاد المجاورة لطرابلس والبترون حتى نواحي العاقورة وكسروان وذلك الى القرن الرابع عشر للمسيح كما سنبيّن الامر في مقالة آتية. ولهذا السبب قد امكن ابن بطوطة ان يدعو باسم لبنان كلّ بلادهم (١

وأضبطُ العرب وصفاً للبنان الكاتب الشهير ابو الفداء صاحب حماة ولا غرو اذ كان اصلهُ من بلاد تجاور لبنان فانهُ في وصفهِ (ص ٦٨ و ٢٢٩) يميّز لبنان عن جبل دمشق وقد دعا طرف هذا الجبل الجنوبي بأسم جبل الثلوج ويدعو باسم سنير طرفهُ الشمالي وهو أنتيليبانوس. وسنير احد الاسامي الواردة في التوراة يراد بهِ حرمون وأطلق حسب رأينا على كل القسم الشمالي من هذا الجبل. وذلك امرٌ يُستنتج من كتبة العرب وهم شهود صدق على التقليد القديم

وقد جعل ابو الفداء لبنان بازاء جبل الثلج يمتد الى شرقي طرابلس فاذا تجاوزها عُرف بجبل عكار. وهو قول صواب جرى عليهِ ايضاً القلقشندي من بعدهِ. اما الجبل الواقع في شمال جبل عكار فان ابا الفداء يدعوهُ جبل اللكّام (ص٦٨). وهكذا ايضاً قد جعل الاصطخري وابن حوقل حدود لبنان الشماليّة بالقرب من مدينة حماة

هذه بعض نصوص نقلناها عن جغرافيّي العرب تبيّن ان هؤلاء الكتبة اصابوا في كثير من اقوالهم عن لبنان وان وهموا في بعض الامور اخذوها عن كتبة الروم دون ان يتحققوها بانفسهم لاسيما في ما يختصّ بتعريف حدود لبنان الشرقيّة. فسبحان من تنزّه عن كل خطإٍ وعيب (ستأتي البقيّة)

---

١) راجع مقالتنا عن سكنى النصيرية في لبنان في مجلة الشرق المسيحي

مَقَالَة
للشيخ يحيى بن عدي

في صحة اعتقاد النصارى في الباري جلَّ وتعالى انهُ جوهر واحد ذو ثلاث صفات

عُني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

قد اشتهر في ايام المُطيع لله الخليفة العباسي رجل مسيحي من مشاهير النحلة اليعقوبية يدعى ابا زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا وُلد في تكريت وانتقل الى بغداد. قال ابن ابي أُصيبعة في كتاب طبقات الاطباء (٢: ٢٣٥): «واليهِ انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقتهِ قرأ على ابي بشر متّى وعلى ابي نصر الفارابي وعلى جماعة أُخر وكان اوحد دهره ومذهبهُ من مذاهب النصارى اليعقوبية وكان جيد المعرفة بالنقل وقد نقل من اللغة السريانيَّة الى اللغة العربية وكان كثير الكتابة ووجدتُ بخطهِ عدة كتب». ومما جاء عنهُ في كتاب الاطباء للقفطي انهُ كان يكتب في اليوم والليلة مائة ورقة. وانهُ نسخ بخطهِ نسختين من تفسير الطبري وكتباً اخرى لا تحصى. وكان اوصى تلميذهُ ابا علي اسحاق بن زُرعة ان يكتب على قبرهِ هذين البيتين:

رُبَّ ميتٍ قد صار بالعلم حيًّا ومبقًّى قد مات جهلًا وعيًّا
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلودًا لا تعدُّوا الحياة في الجهل شيًّا

وكانت وفاة يحيى بن عدي في بغداد في شهر آب سنة ٩٧٤ للمسيح ودُفن في بيعة مار توما بقطيعة الدقيق. وليحيى بن عدي تصانيف عديدة وتآليف عجيبة في الفلسفة وفروعها فُقد اكثرها

وقد وقفنا لهُ في مكتبتي باريس ورومية على بعض مصنَّفات جليلة استنسخناها لفوائدها. فمن ذلك رسائل عديدة وجدناها في مكتبة باريس عن المعتقدات النصرانية نقتطف منها مقالة في التوحيد والتثليث نقلًا عن النسخة الخطيَّة المحفوظة هناك تحت العدد ١٦٩ من الصفحة ٢١ الى الصفحة ٢٢ يرتقي عهد خطها الى سنة ١٦٥٤

(21r) قال يحيى بن عديّ:

انَّ غرضنا من هذه المقالة ان نبيّن (١ صحة ما تعتقد النصارى ان الباري جل

١) ليس هذا بيان بالبرهان لأنَّ سرَّ الثالوث الأقدس لا يمكن اثباتهُ بالعقل وانَّما هو فقط ايضاح لتقريب إدراكهِ واظهار عدم استحالتهِ

وتعالى جوهر واحد ذو ثلث صفات كلّ واحدة منها غير الأُخريين في المعنى وانّ ذلك ليس بممتنع ولا مستحيل كما يظنّ البعض بايجادنا ذلك في الاشياء الشاهدة والله نسترشد وبه نستعين وهو حسبنا هاديًا ومعينًا فنقول:

انّ من الاشياء المعاينة أنّا اذا نصبنا مرآتين على تقابُلٍ وجدنا في كل واحدة منهما صورة جميع ما يقابلها وكلٌّ واحدة منهما تقابل نظيرتها ففي كلّ واحدة منهما اذن صورة نظيرتها. ومن البيّن ايضًا للعيان أنّا لسنا نجد في كل واحدة من المرآتين صورة الاخرى فقط دون جميع ما فيها من الغُرَر بل نجد في كلّ واحدة منهما صورة ذاتها وهي بعض الصور التي قد (٢١^ﻭ) قبلتها فيجب ضرورةً ان تنعطف صورة كلّ واحدة منهما فتوجد في ذاتها

فاذا نحن تأملنا وجدنا لصورة ايّ المرآتين احدى ثلاث احوال كلّ واحدة منها غير الحالين الأُخريين: (احداها) الحال التي لها في وجودها عين وهي الصورة الموجودة في الحديد (١ وغيره من الاجسام الصقيلة القابلة لصورة ما يقابلها. ومن البيّن ان هذه الصورة بهذه الحال سبب وجود الصورة بالحالين الباقيتين

وذلك أنّا لو توهّمنا ارتفاع هذه الصورة لما وُجدت الصورة التي في المرآة المقابلة لها. واذا لم توجد المقابلة لم تنعطف الصورة الى المرآة التي صدرت عنها فتوجد فيها. وليس بممتنع ان توجد الصورة التي في الحديد ولا تقابلها مرآة أُخرى ولذلك لا توجد صورة أُخرى غير التي في الحديد ولانها لا توجد في شيء مقابل لا تنعطف صورتها فتوجد فيها بالانعطاف وجودًا يخالف وجودها في الحديد. فقد ظهر انّ هذا الوجود سبب الوجودَين الآخرين اذ كان برفعه نتوهّم ارتفاعهما ومتى وُجدا وجب ضرورةً وجوده. وهذا الوجود مماثل لوجود الآب وهو علّة(٢ الابن والروح وهما معلولاه

وامّا (الحال الاخرى) فهي وجود هذه الصورة بعينها في المرآة المقابلة لها وهي في ذلك مماثلة لوصف الروح منبعثًا خارجًا من الاب

١) يريد بالحديد المرآة المصقولة وكانت قديمًا تصنع من الحديد المنقّى اي الفولاذ المصقول قبل اكتشاف الطلاء الزئبقي

٢) العلّة هنا بمعنى المبدإ ليس بينها وبين معلولها ايّ اختلاف كان لا في الجوهر ولا في القِدَم ولا في الكمال

والحال (الثالثة) وهي الحاصلة بالانعطاف في المرآة التي عنها صدرت وهي مقابلة لصفة الابن اذ لهُ المائلة للاب من جهتين احداها في الصورة. والاخرى وجودهُ في ذات الاب وغير خارج عنهُ

فقد تبيَّن ان هـذه الصورة اذ هي صورة (22ʳ) واحدة غير متكثرة بهذه الثلث الصفات واختلفت صفاتها بها صارت ثلث موضوعات (١ معنى كلّ واحد منها غير معنى الآخرين. فانهُ ليس احد لهُ عقل ينكر انَّ الصورة التي شاهدها في الحديد لا خلاف بينها وبين الصورة المشاهدة في المرآة المقابلة لها وأنَّها هي والصورة المنعطفة عن المرآة المقابلة صورةٌ واحدة بعينها ولا يشكّ ايضاً في ان معنى كلّ واحدة من الاحوال الثلاث غير معنى الاخرَين وذلك انَّ كونها موجودةً في الحديد غير معنى كونها منعطفة من المقابلة الى ذاتها. ومعنى كونها منبعثة الى المقابلة الصادرة عنها حتى حصلت فيها غير معنى الأخرين. فقد ظهر اذن انهُ قد وُجدت الصورة الواحدة بعينها في ثلاث أحوال تتكثر اذا اقترنت بها الصفات الثلاث فتكون الصورة في الحديد غير الصورة التى حصلت في المرآة المقابلة للمرآة التي هي صورتها وغير الصورة التي حصلت في المرآة التي هي صورتها لا بما هي صورة بل بما هي في الحديد وفي المرآة المقابلة ومنعطفةً الى المرآة التي هي صورة لها

فقد تبيَّن ووضح انها واحدة من حيث هي صورة وانَّها اذا اقترنت بها الاحوال وان شئتَ فقُل الصفـات صارت ثلاثة اشياء تتوحَّد من حيث هي صورة وتتكثر بصفاتها

وهذا التمثيل وان كان لأنَّهُ محسوس أوضحُ من التمثيل بالعقل والعاقل والمعقول واقرب الى الفهم فان التمثيل بالعقل والعـاقل والمعقول (22ᵛ) اشبه منهُ واولى فنحن لذلك نذكرهُ فنقول:

اذ كان كلُّ من يَعقل انَّما يَعقل بالعقل وكان العقل بعضَ الاشياء المعقولة فمن البيّن انَّ العقل نفسهُ انَّما يُعقَل بالعقل. ومن البيّن ان العقل ذات من الذوات الموجودة وان معنى

١) الموضوعات كالاقانيم توافق ما يدعوهُ اللّاهوتيون باللّاتينية suppositum وباليونانية ὑπόστασις

كونه عقلًا لا يتضمّن معنى كونه عاقلًا او معقولًا وانّ معنى كونه معقولًا غير معنى كونه عقلًا او غير معقول او عاقلًا. فظاهر لكل سليم العقل انهُ اذا كان هو الذي يعقل ذاتهُ من قِبَل انهُ يعقل ذاتهُ يحصل لهُ معنى العاقل. ومن قِبَل انهُ هو الذي تعقلهُ ذاتهُ يكون معقولًا لذاته فقد حصل لهُ ثلاث صفات مختلفات اعني انهُ عقل وانهُ عاقل وانهُ معقول وهو ذات واحدة. وذلك انّ الذي هو عقل هو بعينهِ الذي هو عاقل ومعقول. فمن حيث انّ اسمهُ «العقل» انما تسمّى بهِ ذاتهُ مجرَّدةً من غير ان يضاف اليها شيء آخر هو علّة النعتين الآخرين اللذين يستحق ان توصف هذه الذات بواحدٍ واحدٍ منهما اذ انضاف معناه الى الذات المجرَّدة. فتوصف من حيث هي مصوَّرة لذاتها انها عاقلة ومن حيث هي متصوَّرة بانهـا معقولة. فظاهر اذن انّ معنى العقل مجرَّدًا هو علّة النعتين الآخرين اعني معنى العاقل ومعنى المعقول اذ كان متى تُصُوِّر ارتفاعهُ ارتفع مع ارتفاعهِ المعنيان الآخران واذا وُجد واحد من المعنيـين وجد معناه لا محالة فهو لذلك مماثل للاب اذ كان الاب علّة الابن والروح. ولانّ معنى العاقل موجود (23ʳ) للعقل غير خارج عنهُ فلذلك ذاتهُ غير مباينـة لهُ وغير خارجة عنهُ وهو مماثل للابن اذ طبيعة الابن وطبيعة الاب واحدة. ومن قِبَل انهُ معقول هو مماثل للروح اذ الروح خارج عن الآب منبعث منهُ كما ان المعقول من حيث هو معقول هو خارج عن العاقل ووارد اليهِ (١

فقد تبيَّنت ووضحت مماثلة العقل والعاقل والمعقول للاب والابن والروح من حيث ان جوهر العقل هو ذات العـاقل وذات المعقول وهذه الذات الواحدة لا تتكثر من حيث هي ذات وانّما توصف بثلاث صفات كل صفة منهـا غير الأُخريين فتتكثر تلك الذاتُ بصفاتها الثلاث لا من حيث هي ذات وانّ ذلك مماثل لما تعتقدهُ النصـارى في الباري جلّ وتعـالى من انهُ جوهر واحد غير متكثر بوجهٍ من الوجوه من حيث هو جوهر وانّهُ ذو ثلاث صفات وإن شئت فقل ثلاث خواص. واذا انضمّ ذلك الجوهر اليها صار المجتمع منها مخالفًا من قِبَل صفتهِ او خاصّتهِ لا من قِبَـل الجوهر. وهكذا تبيّن ما ذكرناهُ بمعونة الله وحسن تأييده ولهُ الحمد دائمًا

١) في قولهِ هذا ما يشير الى انبثاق الروح القدس من الابن كما ينبثق من الآب. والسريان اوّل من صادقوا على هذه العقيدة في مجمع سلوقية والمدائن سنة ٤١٠ للمسيح فاقرّوا جهارًا ان الروح القدس منبثق من الاب والابن كمن مبدإ واحد

حلّ شكّ في ذلك

قال يحيى بن عدي: ان قال قائل: هَبكم ساغ لكم ان تقولوا (٢٣) ان الاب علّة للابن والروح لان منزلته عندهما منزلة ذات العقل مجرّدةً من معنى العاقل والمعقول وانّ الذات المجرّدة علّة لما قوامهُ منهما ومن معنى آخر يضاف اليها فاذا ليت شعري حجّتكم في خصّكم الابن بتمثيله بالعاقل دون المعقول والروح بالمعقول دون العاقل مع اعترافكم بانهما معاً في الجوهر والطبيعة والقدرة والجد لا فضل لاحدهما على صاحبه في ذلك

(الجواب) انّ الذي شهد عندنا بانّ المماثل للابن هو العاقل دون المعقول هو ما ورد به الانجيل من انّ الابن هو المتأنس دون الاب والروح فوجب بذلك ان المماثل للابن انّما هو العاقل دون المعقول. وذلك ان الانسان يمكنهُ ان يصير عاقلًا للذات المجرّدة فيُشبَّه بذلك الابن الذي مثّلناهُ بالعاقل للذات المجرّدة وهذا معنى اتحاد الانسان بالاله الابن. وامّا المعقول فانهُ يمتنع في الانسان ان يصيرهُ لانهُ يمتنع ان يصير الذات المجرّدة ولذلك لا يمكنهُ ان يتّحد بها ولهذا السبب خصصنا الابن بتمثيلنا ايّاهُ بالعاقل دون المعقول والروح بالمعقول دون العاقل تمّ القول

محادثة ثانية لغويّة

لحضرة الاستاذ رشيد افندي الشرتوني محرّر البشير ومدرّس الخطابة في كليّة القديس يوسف

قصدني هذه المرة شاب آخر غير الذي رويتُ حديثهُ لقرّاء المشرق في العدد السابق فقال: انا جئتك مستفيدًا لا متعنّتًا فقد طالعتُ خبر المحادثة التي دارت بينك وبين ذاك المكابر وعرفت مقدار ما نالك من المضّ بسبب إصراره فاتيتك مستفهمًا عن بعض الكلم وواعدًا باني اسلّم بالحقيقة حالما تتبيَّن لي

(قلتُ) اسأل عمّا بدا لك والحمد لله على انهُ يسّر لي هذه المرّة اديبًا مثلك

(قال) هل للكاتب ان يقول «جرحٌ بليغ وطعنٌ بليغ» فان حضرة الشيخ

ابرهيم اليازجي يخطئ هذا الاستعمال قائلاً : ان البليغ هو الفصيح الذي يُوقع الكلام مواقعهُ وينكر استعمالَ البليغ بمعنى البالغ والشديد والمؤثر

(قلت) اعلم ايها الذكيّ انَّ حضرة الشيخ قد اعتاد ان يخطئ كلَّ ما لا يتناولهُ علمهُ او لا يجدهُ في ما لديهِ من كتب اللغة وانت خبير ان كتب اللغة لم تحط بكل الالفاظ فكم من كلمة جارية على ألسنة الفصحاء اذا بحثت عنها في المعجمات لا تجد لها اثرًا . فالواجب والحالة هذه ان يُسدَّ ما في المعجمات من النقص بتتبُّع كلام الثقات من المؤلفين حتى اذا عثر المطالع على لفظة تخلو منها المعجمات يبادر لاضافتها اليها

(قال) هذه هي الحقيقة بعينها فاذا كنتَ تعرف شاهدًا من كلام الثقات يصحح استعمال البليغ بمعنى البالغ والمؤثر فالرجاء ان لا تضن بهِ

(قلت) ان الشواهد على هذا الاستعمال كثيرة اكتفي منها بما سأوردهُ فان الامام الزمخشري صاحب الكشاف يقول في الصفحة ٦٢٩ من الجزء الاوَّل: « الاستعصام بناء مبالغة يدلُّ على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد » أرأيت كيف يستعمل كلمة البليغ هنا بمعنى البالغ الشديد فمن يقول اذًا « جرحٌ بليغ او طعنٌ بليغ » لا يغلط ومن يغلّطهُ فقد غلّط الزمخشري معهُ

ثم ان الزمخشري نفسهُ يقول ايضًا في تفسيرهِ « ماء طهورًا » : « اي بليغًا في طهارته »

وقال كذلك في الاساس: « أبلغتُ الى فلان فعلت بهِ ما بلغ بهِ الاذى والمكروه البليغ » . وجاء في لسان العرب عند تفسيرهِ « بلغتَ منَّا البُلَغِين » ان عائشة ارادت انك بلغتَ منا كل مبلغ . . قال ابن الاثير : والاصل فيهِ كأنَّهُ قيل خَطْب بُلَغ اي « بليغ » ثم جمع على السلامة ايذانًا بان الخطوب في شدة نكايتها بمنزلة العقلاء الذين لهم قصد وتعمُّد »

وقال الامام البيضاوي عند تفسيرهِ « قولًا بليغًا » في الصفحة ٢١٦ من طبعة لبسيك: « اي يبلُغ منهم ويؤثر فيهم أمرهُ »

(قال) يكفيني ما اوردتهُ من الشواهد على صحة استعمال البليغ بمعنى البالغ

والنافذ والشديد . بقي لي ان اسألك عن كلمة « امعن » هل يسوغ استعمالها متعديةً بنفسها فان حضرة الشيخ ابرهيم قد انكرها ايضاً

(قلت) قد سبق لي اثبات العكس في مجلة المشرق من نحو ثلاث سنين ومع ذلك لا بأس ان ازيد المسألة بياناً :

ان كل المعاجم القديمة اغفلت « أمعن » متعدياً بنفسهِ في مادتهِ ولكنها ذكرتهُ في غير مواضع . وممن ذكرهُ صاحب التاج فقد قال في مادة « قطن » يذكر أبا سعيد يحيى ابن فروخ : « وهو الذي تكلَّم في الرجال وامعنَ البحثَ عنهم » . وقال ايضاً في ترجمة نطس : « كل من امعنَ النظرَ في الامور واستقصى عليها فهو متنطِّس »

وقد استعملها الحريري في مقامتهِ الحلوانيَّة حيث يقول « امعنتُ النظرَ في توسُّمهِ » وقال الشريشي في شرحها : « اي بالغتُ وادمتُ النظرَ »

وممن استعمل امعن متعديًا بنفسهِ العلامة النويري حيث يقول « امعن النظرَ وطلب الاستخارة » وكذلك والد الشيخ ابرهيم المرحوم الشيخ ناصيف يستعملها في باب التشبيه من كتاب عقد الجمان (ص ١٠٤) وظنّ انهُ اخذ هذه اللفظة عن القزويني فانَّ عقد الجمان كما يعلم الكلّ ما هو الّا نسخة عن كتاب تلخيص المفتاح

(قال) ان الشيخ ابرهيم يستقبح استعمال همَّ بمعنى أهمَّ ويقول ان أهمَّ المزيد هو افصح فهل وقفتَ على شيء من ذلك ؟

(قلت) ليس لنا الّا ان نستوضح كتب اللغة في شان هذا الحرف فتناولنا التاج فاذا بهِ يقول : « همَّهُ اذا احزنهُ واقلقهُ كأهمَّهُ » ثم اخذنا اللسان فرأيناهُ يقول : « اهمَّهُ الامرُ اقلقهُ وحزنهُ وهمَّهُ السقم اذابهُ » وفتشنا ايضاً في سائر كتب اللغة وعددها فوق العشرة فلم نعثر على كلمة واحدة تشير الى ان اهمَّ افصح من همَّ بل يستفاد منها ان اللفظين هما سواء في الاستعمال ليس لاحد منهما مزيَّة على الآخر بل ربَّما كان همَّ هو الافصح كما يؤخذ من كلام اللسان اذ يقول : « قال ابو عبيد في باب قلَّة اهتمام الرجل بشأن صاحبهِ « همُّك

ما هنّك ويقال هنّك ما أهنّك » فقولهُ « ويقال ما اهنّك » يُشعر بان الثاني اقلّ تداولًا وبالتالي أقلّ فصاحةً

(قال) اشكر لك واشكرك معًا على هـذه الفوائد وساعود اذا سمحتَ مرةً ثانية لاستفهامك عن مسائل أُخر

ثم ودَّعني وانصرف على امل الملتقى بعد اسبوعين

مطبوعات شرقية جديدة

L'IMPRIMERIE SINO-EUROPÉENNE EN CHINE

Bibliographie des ouvrages publiés en Chine par les Européens au XVII^e^ et au XVIII^e^ siécles.

par H. Cordier, Paris 1901, pp. 74

مطبوعات الاوربيين الصينية في القرنين السابع عشر والثامن عشر

هذه قائمة غاية في الضبط والاتقان نشرها المسيو هـ. كورديه احد اساتذة « اللغات الشرقيّة الحيّة » في باريس وصف فيها كلّ المطبوعات التي تولى نشرها الاوربيون في مملكة الصين في القرنين السابع عشر والثامن عشر وعدد هذه المطبوعات يبلغ ٣٩٥ كتابًا في كلّ اصناف العلوم الدينيّة والادبية وفروع علم الكلام والفلسفة والتاريخ والرياضيّات والجغرافية والهيئة الخ . امَّا الاوربيون الذين اتوا بمثل هذه الاعمال الجليلة فهم المرسلون اليسوعيُّون وحدهم الذين سبقوا الجميع في ذلك العهد ودخلوا الصين ونالوا الحظوى لدى ملوكها وبثُّوا فيها عقائد الدين الصحيح مع انوار العلوم جمعاء . وانشأُوا قبل سنة ١٥٩٠ عدة مطابع صينيّة في مياكو وغوا وباكين صدرت منها هذه المطبوعات النفيسة التي اغنت العلوم . وكانت اعظم شاهد على انَّ الدين الكاثوليكي ليس هو بعدوّ للمعارف البشريّة بل كلاهما كفرسَي رهان يجريان في ميدان واحد ويسعيان وراء غاية واحدة هي مجد الله وخير الانسانيّة . وقد ادرج المسيو كورديه في قائمتهِ صورًا تمثّل هيئة الطبع في ذلك العصر وتبين بنوع جليّ ما بلّغ المرسلون هذا الفن من الحسن والدقّة رغمًا عمّا كان يحول دونهم من الصعوبات الجمة . واوّل كتاب برز منشورًا بالطبع في الصينيّة هو خبر

رحلة ثلاثة سفراء من ابناء ملوك اليابان المتنصّرين الى رومية لابداء الخضوع للبابا غريغوريوس الثالث عشر. طبعهُ الاب دي سَند (de Sande) سنة ١٥٩٠ في مدينة ماكو بالصينيَّة واللاتينيَّة. فنثني على همَّة المسيو كرديه ونهنئ طلبة الآثار الصينيَّة لحصولهم على فوائد لا تحصى محصورة في عددٍ قليل من الصفحات

رفيق المسافر

استخرجهُ من اليونانيَّة مع اضافات مهمَّة عبده يني بابادوبولس

طُبع في المطبعة الادبية سنة ١٩٠٢ (ص ٦٣٠)

قد اهدانا حضرة وكيل غبطة البطريرك الانطاكي على الروم في بيروت جناب الفاضل عبده افندي يني هذا المجموع الجزيل النفعة الذي وُضع اصلًا في اليونانيَّة فعرَّبهُ حضرتهُ تعريبًا حسنًا واضاف اليهِ عدة فصول مفيدة. وقد تصفَّحناهُ بتأنٍ واعتناء فوجدناهُ شاملًا لكل ما يحتاج اليهِ ذوو الطقس اليوناني من صلوات وتسابيح وفصول الرسائل والاناجيل وخدم كنائسيَّة لأيَّام الآحاد واعياد السنة الثابتة والمتنقلة مع جداول فصحيَّة وغير ذلك ممَّا يثبت صحَّة تسميتهِ « رفيق المسافر اذ هو بمثابة مؤنس لكل مسيحي مسافر في سحابة هذه الحياة الدنيا ». وهذا الكتاب يفيد ايضًا الروم الملكيين كما يدلُّ على ذلك اكتتاب غبطة البطريرك بطرس الرابع جريجيري ونيافة السيد ملاتيوس فكَّاك وغيرهما من افاضل الروم الكاثوليك في عددٍ من نسخهِ. فنشكر لمتولي طبع هذا الكتاب حسن مشروعهِ ونتمنى لكتابهِ رواجًا وقبولًا

ل. ش

خارطة بلاد ايران

ان منافع خطة بغداد الحديديَّة التي سبق لنا وصفها تشمل ليس فقط بلاد الدولة العليَّة بل الممالك المجاورة لها وفي مقدمتها بلاد العجم. ولا نشك في انَّ قراء المشرق يسرّون اذا وقفوا على وجود خارطة كبرى تريهم رأي العيان تخوم تلك الدولة العظمى. وهذه الخارطة قد سعي بطبعها صاحب الدولة الامير فرمان فرما عبد الحسين وزير الحربية سابقًا في ايران وهي ملوَّنة تبلغ مترًا و ١٥ سنتيمترًا طولًا ومترًا و ٧ س عرضًا.

ولا نعرف خارطةً اكمل منها. ولكل اقليم منها حدود بألوان تفرزها عن اخواتها. وقد ضمَّنها صاحبها حفظهُ الله اسماء كل المدن والقرى المهمَّة حسب صورتها بالفارسية. واضاف اليها جدولًا لأعلام الامكنة بالحرف الاوربي في احد جوانبها يسهل على المطالعين وجود ما يطلبهُ منها. امَّا رسم القسم الطبيعي من هذه الخارطة فهو غاية في الاتقان لا يفوتك شيءٌ من معرفة جبالها وانهارها الخ. وقد اعجبنا على نوع خاص رسم الخليج العجمي ومصبّ شط العرب مع ما يليهما من النواحي. فلا غرو ان من يطّلع على هذه الخارطة يقرّ لصاحبها المفضال بطول الباع في معرفة تلك البلاد القاصية التي هو احد اركانها وطالما شرَّفها بأعمالهِ الخطيرة ه. ل

شذرات

—✧ قصيدة تهنئة ✧— نظمها جناب المعلّم الاديب جرجي الخوري كرم أحد اساتذة مدرسة الآباء اليسوعيين في الشام فرفعها الى قداسة امام الاحبار بمناسبة يوبيلهِ الفضي. مطلعها :

إفتح كنوزك فهي ملأى بالنعم ... وأفض من البركات ما يحكي الدِّيَم

ومنها في صفة الحبر الاعظم :

ركنُ الكنيسة طالما عصفت حوا ... ليهِ الرياحُ من الطغاة وما انثلم

حاشاك يا ربَّ القداسة فالبنا ... صخرٌ وهل صخرٌ يُدقّ من النسم

فالبحر ان هاجت عليهِ عواصفٌ ... لتحطَّ من غلوائهِ يزدد عِظَم

والنسر يعلو في الفضاء تنزُّهًا ... وعلى الحضيض تدبُّ سوداء الرَّخَم

لو ناوأت سربُ البعوض تحرُّشًا ... علَمًا لتقهرهُ فما ضرَّ العلَم

ومنها: ولَنحن ابناءٌ وانت ابٌ نتيهُ بذكرهِ امَّا الكنيسة فهي أُم

واذا الخطوب تفاقمت ظلماتها ... فسناء عيدك كان فرَّاج الظُّلَم

عيدٌ وأيَّة مقلةٍ مغتاظةٍ ... نظرت سناهُ ولم تعد تشكو الألم

كرسيُّ رومة في علاك قلوبنا ... واليك نلجأُ حين تزدحم النِّقَم

اسدٌ اذا بالكون اسمعَ صوتهُ رجّت سهول الارض جما والقمم
والانس في شفتيهِ والبركات بيـن يديهِ وهو مقدَّسٌ لفظاً ونغم
فاذا تجهّم عبَّس المعمور عن كدرٍ وان يبسم قداستـهُ بسَم
اوكيف لا يخشاهُ دهرك وهو قد ثبتت لهُ في كل نائبةٍ قدم
ان كان شيَّب رأسـهُ عمرٌ فتي امر الديانة مثل شابٍ لا هرم
كم خاض بحر المعضـلات فحلَّها وكم أستشير وكم قضى امراً وكم
شهدت لهُ الدنيا على نزعاتها والفضل ما شهدت به كل الأُمم
فاليك يا رب القداسة نلتجي واليك نفزع حينما البلوى تعُم
سلْ ما تشاء فاننا طوعٌ بما ترضاهُ من مالٍ ومن جسدٍ ودم

وقد اهدانا ايضاً الاديب ودبع شديد عقل قصيدة اخرى دعاها « برقٌ من المشرق ينفح الى المغرب » في مدح قداسة الحبر الروماني اولها :

نسيمَ الصَبا قبّلِ الصَبا وانتحي غربا الى حيث قلب الشرق قد عشق الغُربا

ومنها :

لاعتابهِ تسري الاماني ظوامئاً فتلقى لدى اعتابهِ منهلاً عذبا
وبين يديهِ يخفض المجد رأسهُ ولكنَّهُ خفضٌ يزيد بهِ نصبا
بهِ عزَّ ايمان الصليب لأنهُ رآهُ لهُ ركناً غدا حجراً صلبا

ومنها :

إمام الهدى انّا بنوك ولم تزل - بعونك كلَّ العمر نستهون الصعبا
ايا اسداً في خدر رومة رابضاً اذا كنت راعينا فهل نرهب الذئبا
نحييك عن بعد المزار وحبّذا لو أسطاع كلٌّ من مواطنكم قربا
سلامٌ على التـاج الذي خرَّ دونهُ مَن التاجُ ميَّالٌ بهامتهِ عجبا
سلامٌ على ذاك الجلال الذي بـهِ يمثّل للابصار نائبُهُ الربَّا
ليهنئك ذا اليوبيل يا مَفزع الورى ويا كاشف البلوى ويا دافع الكربا
بهِ اهتزَّ كلُّ الكون فابتسم السما وشارك شرقُ الارض بالغبطة الغربا

ابيات مجهولة لابن الفارض افادنا جناب القانوني البارع جرجس افندي صفا ان لديهِ نسخة خطّية من كتاب ديوان ابن الفارض كتبها سنة ١٠٢٠ هـ (١٦١١م) اسماعيل بن سليمان بن اسماعيل البيجوري الازهري. فقابلها مع النسخة المطبوعة فوجد فيها ابياتاً لم يروها احدٌ من اصحاب الطبعات الشائعة وموضوعها التغزّل بكمالاتهِ تعالى شأن ذلك الشاعر المبرّز. وهي هذه:

قلبٌ أحبَّ سواك لا نال المُنى ... وجنتْ عليهِ يدُ الصدود بما جنى
كيف التعوّض عن هواك بغيرهِ ... ولنا اليك الفقر لا عنك الغنى
لا غرو ان يقضي بوصلك عاشقٌ ... وجد المماتَ الذَّ شيء يُقتنى
ان لم تمت روحي جوًى وتشوُّقاً ... فانا المسيءُ وقد وجدتك محسنا
يا من تجلَّى في الوجود لناظري ... فرأيتُهُ من كل شيءٍ احسنا
لمّا دعاهُ هواكَ لبَّى طائعاً ... وتصوَّرتْ كلُّ الجوارح ألسُنا
قد مسَّني ضرٌّ فان تكُ راضياً ... لي بالضنا يا حبَّذا ذاك الضنا
صِلْ عاشقاً هجرَ الكرى وجفا الورى ... ورأى المحبّة دينهُ فتديَّنا

المراصد الفلكيّة التي يديرها اليسوعيون في العالم للآباء اليسوعيين في العالم عشر مراصد فلكيّة. ثلاثة منها في اوربّة: الاوّل مرصد كالوكشا (Kalocsa) في بلاد المجر يديرهُ الاب فيني (Fényi) من ارباب الفلكيّات. والثاني في ستونيهرست (Stonyhurst) في انكلترة يُعدّ اليوم من اشهر المراصد الاوربيّة وكثيراً ما كلّفت الدولة الانكليزيّة ذويهِ بمهمّات عظيمة نخصُّ منهم بالذكر الاب پري (Perry) الذي مات ضحيّة اثارهِ فدعاهُ مواطنوهُ شهيد العلم. وقد خلفهُ ابوان عاملان علماً وعملاً وهما الاب سيدغريفس (Sidgreaves) والاب كورتي (Cortie). ولليسوعيين الفرنسويين في جزيرة جرساي اللاحقة بانكلترة مرصد حديث تولّى انشاءهُ الاب مرقس ديشڤرنس (M. Dechevrens) الشهير باختراعاتهِ في الهيئة والرياضيّات. وكان لليسوعيين سابقاً مرصدٌ بديع في رومية في باحة مدرستهم الرومانيّة وهو المرصد الذي اشتهر فيهِ قوم من عظام الرجال نخصُّ منهم بالذكر الاب سكّي الذي نصبت لهُ الحكومة الايطاليّة منذ عهدٍ قريب تمثالاً على نفقتها فتراهُ لابساً ثوبهُ الرهباني وبيدهِ المجهر يراقب الشمس التي كتب عنها ما يخلّد اسمهُ بين العلماء.

وهذا المرصد الروماني هو اليوم في ايدي دولة ايطاليـة . وللبسوعيين في اميركة اربعة مراصد الواحد منهـا حديث النشأة في مكسيكو يديرهُ الاب دي هيرديا الاميركي. والثـاني في جزيرة كوبا يتولى امرهُ الاب كوكويتي (Gaugoiti) الذي جازتهُ الحكومة الاميركيَّة على خدماتهِ الجمَّة التي اداها لبحريَّة اميركة برصودهِ الجويَّة فانهُ خلَّص سفناً عديدة من الانواء والاعاصير الهائلة اذ سبق واعلم ارباب السفن بمكانها ووجهتها واخطارها . فصحَّت كل اعلاماتهِ بخلاف اعلامات صاحب مرصد الحكومة الذي هوَّر المراكب بالهلاك فاضطرَّ ذوو الامر ان يقصلوهُ عن وظيفتـهِ . والمرصد الثالث اعظم خطرًا واكبر شأنًا يديرهُ اليسوعيون في مانيل من اعمال الفيلبين . فان الدولة الاميركيَّة لمَّا احتلَّت هذه الجزيرة مؤخرًا ووقفت على اعمال هذا المرصد العجيب ليس فقط لم تصخ بسمعها الى من اشار اليها بنقض هـذا الصرح العلمي بل قضت في السنة الماضية بان يكون مرصد مانيل هو المرصد المركزي الوحيد في كل ارخبيل الفيلبين وجعلت تحت نظارتهِ سبعين مقامًا لمساعدتهِ على الرصود الفلكيَّة وعيَّنت راتبًا سنويًّا لمديره يبلغ ٤٦,٥٠٠ فرنك. ومديرو هـذا المرصد اربعة يسوعيين لكلهم تآليف عديدة في العلوم الفلكيَّة وانَّما امتاز بينهم الاب ألغه (Algué) الاسباني قد اخترع حديثًا آلة غريبة لرصد الانواء البحريَّة مع ميزان الحركات الجويَّة (baro-cyclonomètre) وهو الذي اوفدتهُ الدولة الاميركيَّة في السنة الماضيـة الى المؤتمر الفلكي الذي عُقد في باريس . والمرصد الرابع في جورجتون تحت ادارة الابوين هاغن (Hagen) ورِيغ (Rigge) ولكليهما طرائق رصديَّة جرى عليها الفلكيون المحدثون لسهولتها . ومن مراصد اليسوعيين الفرنسويين في آسية مرصدان في الشرق الاقصى وكلاهما في مدينة زيكاواي . احدهما حديث للآثار الجويَّة (راجع المشرق ٤ : ٦٦٩) والثـاني قديم لهُ شهرة ذائعة في بحار الصين وبابان وكوريا (المشرق ٢ : ١٠٠٦) . ومن خدماتهِ الحديثة انهُ نجَّى الاسطول الالماني المرسل الى الصين من اهوال تلك البحـار بحيث استحقَّ مديرهُ ثناء الدولة الالمانيَّة وقد كتب اليه امير البحر بندرمان في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٠١ رسالةً يطري فيها همَّتهُ ويشكر افضالهُ ويعدهُ بانهُ لا يسكت عن فضل المرسلين الكاثوليكيين حيثما سار — ولليسوعيين الفرنسويين ايضًا في افريقيـة مرصد فخيم في تناناريف نال مديراهُ الابوان كولين (Colin) ورُبله (Roblet) امتيازات

عديدة من لدن الحكومة مرَّ لنا ذكر بعضها (المشرق ٢ : ١٣١)

فما قول صاحب الضياء بعد هذا أفيدَّعي بعد « ان الجزويت عُرفوا بفنون التمويه » وانهم « يغرون العقول الضعيفة ويضلّلون الاذهان الواهية »

الخارطتان الاوليان لاميركة — كان علماء الجغرافية يتأسّفون على ضياع الخارطتين الاوليين اللتين رسمهما وَلْدسيمولر في اوائل القرن السادس عشر. وقد اسعد الحظ الاب يوسف فيشر (J. Fischer) من اساتذة انسبروك اليسوعيين على وجودهما في مكتبة قصر قديم يدعى ڤولفغ للامير ڤلدبرغ الالماني. وقد اخذ رسمها بألوانهما ونشرها بالطبع فكان لهذا الاكتشاف احسن وقع بين العلماء عموماً والاميركيين خصوصاً. والخارطة الاولى قد اصطُنعت في سنة ١٥٠٧ وفيها قد ورد لاول مرَّة اسم اميركة. والثانية هي خارطة بحريَّة تاريخها سنة ١٥١٦

مسابقة الحرير — قرأنا في البشير انهُ: ورد من نظارة الامراج والمعادن والزراعة الجليلة انهُ يجب ان تجري هذه السنة في مدينة بيروت وصور وطرابلس الشام واللاذقية مسابقة الشرانق الموضوعة لترقي صنعة الحرير داخل الممالك الشاهانية. ولمَّا كان الكثير من اراضي ولاية بيروت مغروساً باشجار التوت وتربية دود الحرير رائجة فيها ومدار ثروة البعض على حاصلات هذا الصنف أخذت الجريدة الرسمية تنشر التعليمات التي صدرت الارادة السنية بالعمل بموجبها وقد اذاعت منها في عددها الماضي خمس موادّ خلاصتها ان مسابقة الحرير تكون على الشرانق وكل ما يتعلق بتربية الدود وتبذيره وتربية نصوب التوت وبذاره والآلات العائدة على تربية نصوب التوت وغانه

وينبغي ان تجري هذه المسابقة سنوياً في مكانين مختلفين وعند حلول شهر كانون الثاني من كل سنة يعين وقتها ومكانها ثم يذاع الامر بين الاهالي

وتؤلف لجنة وظيفتها ترتيب المسابقة وهيئة مميزة وظيفتها تقدير الاشياء التي يؤتى بها وتقسيمها الى صنوف. وينبغي ان تكون اللجنة تحت رئاسة الوالي او المتصرف

وتؤلف من مأمور الفن في نظارة الزراعة ومأموري الفن والادارة لدى الديون العمومية الحالية ومن عضوين احدهما من مجلس الادارة والآخر من حجرة التجارة والزراعة. وكذلك الهيأة المميزة تؤلف تحت رئاسة الوالي او المتصرف من شخصين ينتخبهما مجلس الادارة احدهما ممن اشتغلوا بتربية بزر الحرير في المكان الذي فيه تجري المسابقة والآخر من ارباب المعامل من مأموري الفن في نظارة الزراعة والديون العمومية

اما الاشياء التي توضع في المسابقة فهي اولاً الشرانق وهذه ينبغي ان تكون من النوع الذي عيّنهُ صاحبها قبلاً غير مخلوطة بنوع آخر من غير جنسها وان يتراوح ثقل كل قطعة منها بين كيلوغرامين وخمسة. ثانياً الآلات والادوات المستعملة في تربية الدود والتبذير. على ان الاشياء الموضوعة في المسابقة يجب ان تكون مصحوبة بشهادة تعطى مجاناً من ادارة الديون العمومية الحالية موضحة اسم المكان الذي حصلت فيه

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد ادباء المسلمين في الثغر هل كان اصل ابي الريحان محمد البيروني من بيروت كما رأى في بعض المجاميع

اصل البيروني

ج كلاّ ليس البيروني من بيروت وانّما ولد في مدينة خوارزم ونشأ فيها. اما بَيرون التي نُسب اليها فهي مربض بجوار خوارزم « قال السمعاني في كتاب الانساب: البيروني نسبة الى خارج خوارزم فانّ بها من يكون من خارج البلد ولا يكون من نفسها يقال لهُ: فلان بيروني ست . . . والمشهور بهذه النسبة ابو الريحان المنجم البيروني ». والتشابه بين النسبتين « البيرونيّ » و « البيروتيّ » حمل المعلم البستاني في كتاب دائرة المعارف الى ان يجعل « البيروني » بيروتيّ الاصل. وقد وجدنا ايضاً مثل هذا الخلط في كتب اخرى منها « مجلة بسّاريون » في عددها الاخير (ص٨٣)

س وسألنا مستفيد من دير الكريم: ١ً هل يصح صرف غفران المذبح الانعامي الى الاحياء.

٢ هل يصحّ صرف هذا الغفران الى ميت غير الميت الذي تُتلى الذبيحة عن نفسهِ. ٣ هل يستطيع ربح هذا الغفران للموتى الكاهنُ الشرقي اذا لم يَتْلُ القداس الطاهر متشحاً بيدلة سوداء.

المذبح الانعامي

نجيب على (الاول) ان غفران المذبح الانعامي مخصوص بالموتى لا يصحّ صرفهُ الى الاحياء. وهذا يؤخذ من ذات تعريف هذا الغفران الممنوح لاسعاف الموتى. ويلوح ذلك ايضاً من براءات الاحبار الرومانيين — نجيب على (الثاني) ان الامر منوطٌ بمشيئة الحبر الاعظم لكنَّ البراءات البابوية منذ زمن مديد لا تسمح بفصل الغفران عن نيَّة الذبيحة بحيث لا يجوز تخصيص الذبيحة باحد الموتى والغفران بآخر. وللمجمع المقدس جواب صريح اثبتهُ الاب الاقدس في ١٩ كانون الاول سنة ١٨٨٥ — نجيب على (الثالث) بالايجاب لانَّ الوشاح الاسود لا يُستعمل في الكنائس الشرقيَّة. واذا استعملهُ الموارنة فليس لهم قدَّاس مختصّ بالموتى. هذا وان الكاهن الغربي نفسهُ يمكنهُ ان يربح الغفران بالوشاح الابيض او الاحمر في الايام التي لا يجوز فيها لبس الوشاح الاسود

س سألنا حضرة الاديب س. ق. ا. من ادباء البلدة: هل جاء «اشفى» بمعنى «شفى» كما استعملهُ المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي في قولهِ:

كلُّ الجراحات مشفيها الدواء سوى جراحها اين حلَّت فهي مشفيها

وهل جاء «انعكف» بمعنى «عكف» كما ورد في المقامة الناصية للمرحوم الشيخ المشار اليهِ حيث قال: انعكفت عليهِ اخلاط الزمن

ج لم نجد في كتب اللغة «اشفى» بمعنى «شفى» ولا «انعكف» بمعنى «عكف» ولعل جناب الشيخ ابراهيم اليازجي ابن الناظم يمكنهُ ان يفيدنا في الضياء عن صحَّة ما ورد في كتب والدهِ المرحوم

س وسأل من بعبدات المدام فرنسيس توما صباغ: ما هو اللفظ الاصح للضمَّة والكسرة في مثل قولك: «كُلّ» و«مِلّ» ايكون لفظهما لفظاً صريحاً كلفظ الفرنج «koul» و«mil» او لفظاً مائلاً كلفظهم «kol» و«mel» وكذلك التنوين في «زيدٌ» و«زيدٍ» أيلفظان «Zaïdoun, Zaïdin» او «Zaïdon, Zaïden»

لفظ الضمَّة والكسرة

ج عندنا انَّ اللفظ الصحيح للضمَّة والكسرة هو اللفظ المُطبق الصريح وكذلك

تنوين الضمّ والكسر. فالصواب اذن ان تُلفظ « كُلٌّ » و « زيدٌ » كما يلفظ الفرنج: « koul, Zaïdoun » لا « kol, Zaïdon » وكذا « مِلٍ » و « زيدٍ » فان لفظهما الصحيح « mil, Zaïdin » لا « mel, Zaïden » ولنا على هذا القول ادلّة كثيرة منها ان الضمّة والفتحة والكسرة مشتقّة في الاصل عن حروف العلّة « ا و ي » والفرق بين الحروف والحركات انّ الحروف تُمدّ باللفظ دون الحركات. ولمّا كان لفظ حروف المدّ الصريح اقتضى الامر ايضًا ان يكون لفظ الحركات مثلها صريحًا فان « كُلُّ » مثلًا اصلها « كُولْ » فاذا حذفت الواو بقيت « كُلْ » مشبعةً غير ممدودة. ولنا براهين أُخرى على قولنا لا يمكن ايرادها هذه المرَّة لضيق المكان ل. ش

س. وسأل جناب القانونيّ الفاضل طانيوس افندي ابو ناضر: من ايّة مادة يصطنع الكلس الفرنجيّ وما هي كيفيّة اصطناعهِ والادوات الصالحة لعملهِ

الكلس الفرنجيّ

ج الكلس الفرنجيّ هو الكلس الذي يزيد صلابةً في الماء (chaux hydraulique) وهو يتركّب من الكلس العاديّ والصلصال (argile) بنسبة ٤ اجزاء من الكلس وجزء من الصلصال. والافضل في ذلك ان تُختار موادّ كلسيَّة ليّنة يسهل دقّها وتنعيمها كالتباشير مثلًا او الحُوَّارى (marne) ثم يخلط بهِ الصلصال ويُجعل في رحىً افقيَّة مقعَّرة يدور حولها رحىً أُخرى عموديَّة. وبينما تدور الرحى يجري على المزيج ماء متواصل من حنفيَّة ويدوم الدقّ نحو ساعة ونصف حتى يصير كعجين فيسيل من ثمَّ الى أجران متَّصلة بعضها مدرَّجة فلا تزال المادَّة ترسب شيئًا فشيئًا الى آخرها امَّا الماء فيسيل صافيًا من انبوب يُجعل في قعر الجرن الاخير. واذا امتلأت الاجران بقيت فيها الموادّ الى ان تصير لزجةً فتؤخذ منها وتُجعل في قوالب ثمَّ تجفَّف في الشمس وربَّما وُجدت بعض الاراضي الكلسيَّة الغنيَّة بالصلصال لا يحتاج اصلاحها

* اصلاح بعض اغلاط وردت في السنة الرابعة من المشرق * ص ٦٥٦ س ٢٤ « سالمات » = ٨١٨ س ٣٢ « ابتناهُ » ص « ابتناهُ اجدادهُ » = ٨٢٤ س ١٦ « من نحو ابراهيم الى آخر المقاطعات الجنوبيَّة » ص « من طريق الشام الى طرابلس = ٩٠٥ س ١٩ « ايُّ التقليديّ » ص « ايُّ التقليدَين » = ٩٧٠ س ١٤ « مطلع احداها » ص « مطلعها » = ٩٨٦ س ١١ « النسخة الثالثة » ص « الثانية » = ١٠٣٣ س ١٥ « ولم يلحّ » ص « ولم يزل يلحّ » = ١٠٥٨ س ١٦ « عاش فيها » ص « فيهِ » = ١٠٥٩ س ٩ « الذي كتبُ » ص « الذين كتبُ » = ١٠٨٢ س ١٦ « لمَّا يحمنا » ص « حينما يحمنا »